

و نبيذ فاروق

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الوحش الآدمي



139



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^ RAYAHEEN ^





د. نبيل فاروق

**رجل  
المستحيل  
سلسلة  
روايات  
بوليسية  
للشباب  
زاخرة  
بالأحداث  
المثيرة**

**139**

## الوحش الآدمي

- كيف يمكن أن يواجه العالم ذلك الخطر الرهيب ، الذي يمتلك (يوري) مفاتيحه ؟!
- هل يمكن أن يقاتل (أدهم صبرى) من أجل العالم ، وكل رفاقه في قبضة (المافيا) الروسية ؟!
- ترى من ينتصر في هذه الجولة الحاسمة ؟!
- (أدهم) ورفاقه ، أم ذلك (الوحش الآدمي) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة . وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^ RAYAHEEN ^

## ١- القتلة ..

بدا خبير الاتصالات الفنلندي (فيليب أندرسن) شديد التوتر والعصبية ، وهو يقف أمام (يورى إيفتوفيتش) ، الزعيم الجديد لمنظمة (المافيا) الروسية ، وهذا الأخير ينفث دخان سيجارته القوي ، ذا الرائحة النفاذة ، في بطنه مستفزاً ، قبل أن يقول في صرامة :

- إذن فأنت ترغب في العودة إلى بلادك ؟!

ازدرد الخبير لعابه في توتر ، قائلاً :

- نعم .. لا بد أن أعود إلى عملي ، و ...

اعتدل (يورى) بحركة حادة ، وهو يقول في صرامة غاضبة شرسة :

- لا بد ؟!

امتقع وجه الرجل ، وتراجع بحركة غريزية ، وهو يقول :

## رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة . أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال . من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسنن لغات حية . وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات . وحتى الغوصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة . لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



- لقد أنه .. أنه ينبغي أن أعمل .

ثم امتزج غضبه بتوتره ، واندفع يستطرد في عصبية :

- لقد أتيت العمل المطلوب مني على أكمل وجه ، وتعقبت كل الاتصالات التي عهدتم بها إلي ، وأنتم قلتم إن هذا جعلكم تربحون معركتكم ، ثم إنني أجلس دون عمل ، فما الداعي لبقائي ؟!

توقعت (زوشا) ، رفيقة (يوري) وحارسته للخاصة ، أن ينفجر هذا الأخير غاضبًا ، من الأسلوب الذي تحدثت به الفنلندي ، إلا أن (يوري) خالف كل توقعاتها ، وهو يتراجع في مقعده ببطء ، وهدوء ، قائلاً :

- ألا تتقاضى أجرًا ، وساعاتك الإضافية أيضًا ؟!

ذلك الهدوء المبالغت أقلق الفنلندي أكثر ، فازدرد لعابه مرة أخرى في توتر ، وهو يغمغم :

- ليست مسألة أجر .

مسأله (يوري) ، في هدوء أكثر :

- مسألة ماذا إذن ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يغمغم :

- هناك ارتباطات عمل ، والتزامات ، و ...

قاطعته (يوري) ، وهو ينفث دخان سيجارته في هوة :

- كم يبلغ راتبك في شركة (نوكيا) يا رجل ؟!

ارتبك الفنلندي أكثر ، وهو يقول :

- الواقع أن ..

ارتسمت على شفطي (يوري) ابتسامة مخيفة ، وهو يقاطعه مرة أخرى ، قائلاً :

- عشرون ألف دولار شهريًا ، وواحد في الألف

من المبيعات داخل (أوروبا) فحسب ، وهذا يعني

ما يقرب من مليون دولار سنويًا .. أليس كذلك ؟!

شعر الرجل بخوف أكثر ، مع هذا الهدوء الرهيب ،  
وهو يتمم بصوت مرتجف :

- تقريباً .

اعتدل ( يورى ) مرة أخرى ، واشتعلت عيناه فى  
غضب مبالغت ، وهو يقول بصرامة وحشية :

- هذا يعنى أنك ستحصل منا ، مقابل أسبوعين  
من العمل ، على ما يساوى راتبك فى عام ونصف  
العام .. أليس كذلك !؟

تراجع الرجل مرة أخرى ، وهو يقول فى توتر :

- سيد ( يورى ) .. إننى لم ..

هبط ( يورى ) من مقعده ، بحركة انتفضت معها كل  
خلية فى جسد الرجل ، وجعلته يتراجع أكثر ، حتى ارتطم  
بجسد ( زوشا ) القوي ، فدفعته هذه إلى الأمام ، فى  
هسوة خسنة ، و ( يورى ) يتابع فى غضب رهيب :

- قيم شكواك إذن !؟ هل تطلب المزيد !؟

اختلق صوت الرجل فى حلقه ، وهو يقول :

- أبداً يا سيدى ( يورى ) .. أبداً .. كل ما فى  
الأمر هو أن المعركة قد انتهت ، و ...

قاطعته ( يورى ) بصيحة هادرة ، جمدت الدماء فى  
عروقه :

- المعركة لم تنته بعد .

وتألفت عيناه على نحو مخيف للغاية ، وهو يشد  
قامته ، متابعاً بكل صرامة :

- لقد ربحنا بضع جولات فحسب .

نطقها الروسى ، وعقله يستعيد الأحداث ، منذ تولى  
زعامة (المافيا) الروسية ، بعد مصرع شقيقه (إيفان)  
على يد (أدهم صبرى) ..

بعدها سقط (أدهم) فاقد الوعي ، وألقت السلطات  
الروسية القبض على فريقه الجديد ، الذى لقتناه بدقة  
بلغة ، من بين صفوف المخابرات العامة ، والمرشحين



للاتضمام إليها .. وجاء ( يورى ) خلفاً لشقيقه ، بعقل يتأرجح بين العبقرية والجنون ، وقرّر أن يستعيد هبة ( المافيا ) الروسية ومكانتها ..

وبمنتهى العنف ..

وكان أسلوبه ناجحاً وعبقرياً للغاية ، حتى إنه جعل ( أدهم ) وفريقه هدفاً لكل القوى فى ( روسيا ) ..  
الرسمية والإجرامية ..

ومع براعة خطته ، سقط الكل فى قبضته ..

الكل ، فيما عدا ( أدهم ) نفسه ..

( أدهم ) ، الذى استعاد وعيه فى لحظة الخطر ، وتحول إلى وحش كاسر ، مع سقوط رفاقه فى قبضة الشيطان الروسى ..

وواجهت ( المافيا ) الروسية أقوى وأشرس مقاتل عرفته ، فى تاريخها كله ..

ولكن زعيمها كانت لديه خطط أخرى ..

خطط أكثر وحشية ..

وقسوة ..

وشيطانية ..

وبضربة بارعة ، استولى على كمية رهيبه ، من مخزون غزّ الأعصاب القتلى ، من المخازن العسكرية الروسية ..

وأصبح العالم كله فى قبضة وحش ..

وحش آدمى ، لا يعرف الرحمة أو الشفقة ..

وفى الوقت الذى يقتل فيه ( أدهم ) ، لاستعادة رفاقه ، كان ( يورى ) يثبت للعالم كله قسوته ، ويبيد القرى بغزّ الأعصاب بلا رحمة ..

وأصبح الموقف خطيراً ..

إلى أقصى حد ..

وفى سجنهم ، حاول رفاق - ( أدهم ) البحث عن وسيلة للفرار ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه المخبرات

المصرية تفكر ، فى إسناد عملية غاز الأعصاب  
لأقوى رجالها ..

ل ( أدهم صبرى ) ..

.. ( رجل المستحيل ) ..

و ...

ارتفع رنين الهاتف الخاص بـ ( زوشا ) فجأة ، فلتزع  
( يورى ) من أفكاره ، وجعله يلتفت إليها بحركة حادة ،  
وهى ترفع هاتفها إلى أذنها ، قائلة فى لهفة :

- من يتحدث ؟!

اتفق حاجباها فى شدة ، وهى تستمع إلى محدثها ،  
على نحو أترك معه ( يورى ) أنها تتلقى خبراً مهماً  
للغاية ، فأشار إلى خبير الاتصالات الفنلندى فى  
صرامة ، قائلاً :

- اذهب الآن .

أسرع للرجل بغادر الحجرة بخطوات تقرب إلى العدو ،

وكأنما ينتهز الفرصة للفرار من وجه ( يورى ) ، فى  
لحظة جنونه الرهيبة هذه ، فى حين سأل هذا الأخير  
حارسه فى صرامة عصبية :

- ماذا هناك ؟!

أبعدت سماعة هاتفها عن أذنها ، وهى تقول فى  
اتفعال :

- المصرى .

هتف بها :

- ماذا عنه ؟!

أشارت بيدها دون معنى ، وهى تهتف بكل  
اتفعالها :

- عند ( جياروف ) .

اشتعلت عيناه بكل اتفعال الدنيا ، وهو يهتف :

- عنده .



ثم اختطف منها هاتفها في هسوة ، وهتف عبره  
بكل صرامته الشرسة :

- هنا ( يورى ) .. الزعيم .. استمع إلى جيداً  
يا رجل ، ونفذ ما سأمرك به فوراً .

راح يلقي أوامره ، لضمان السيطرة على الموقف ،  
في مقر ( فيدور جياروف ) ، الزعيم القرعى لمنظمة  
( المافيا ) الروسية ، وتأكيد سقوط ( أدهم ) ، دون أن  
يسأل عن التفاصيل ، أو يعلم أن عمالقة ( جياروف )  
كانوا يحيطون بخصمه المصرى بالفعل ، ويصوبون  
إليه فوهات أسلحتهم ، في تحفز وحش ، فيما بدا وكأنه  
فخ محكم وقاتل ..

حتمًا<sup>١٥</sup> ..

\* \* \*

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الأربعة الأولى ( الأستلا ) ،  
لد ( المغامرة الكبرى ) ( منبئة الذئاب ) و ( الضحايا ) .. المغامرات أرقام  
( ١٣٥ ) و ( ١٣٦ ) و ( ١٣٧ ) و ( ١٣٨ ) .

ارتج جسد ( جياروف ) البدين ، مع تلك الضحكة  
الظافرة ، التي انطلقت عالياً مجلجلة من حلقه ، وهو  
يرى ( أدهم ) وسط رجاله ، الذين ارتفعت فوهات  
أسلحتهم ، وكل خلية في أجسادهم تتحفز للقضاء  
عليه ، و ...

وفجأة ، انفحم جسد قوى المكان ..

رجل قوى البنية ، مفتول العضلات ، يتدلى بحبل  
متين من أعلى البناية ، دفع جسده بقدميه إلى  
الخلف ، ليرتد بعدها نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ،  
لحجرة مكتب ( جياروف ) ويقتحمها بمنتهى العنف  
والقوة ..

ومع دوى تحطم زجاج النافذة الكبيرة ، استدار  
العمالقة إليها ، واحتبست ضحكة ( جياروف )  
فحلقه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وشفتاه  
تغمغان في ذهول بلغ ذعره منتهاه :

- مستحيل !!



وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، كان القادم ينقض  
على العمالقة كالإعصار ، وينضم إليه الآخر ، في هتال  
رهيب ، يبلغ أقصى حد عهده (جياروف) المذهول  
من العنف ..

فأمام عينيه الجاحظتين ، وفكه الذى يتدلى ليمترج  
بعقه المكتظ ، كانت هناك نسختان من (أدهم صبرى)  
تهاجمان عمالقته ..

بل تحطمهم تحطيماً ..

فلقد كان للمفاجأة وقع مدهل ، على الحدث كله ..

وانتفض جسد (جياروف) البدين كله ، وهو ينتزع  
نفسه من ذهوله ، ويغمغم فى عصبية مفرطة ، ويده  
تقفز نحو درج مكتبه ، فى محاولة لالتقاط مسدسه :

- هذا الشيطان المصرى المخادع ! لقد ..

لم تكن أصابعه لامست مقبض مسدسه بعد ، عندما  
التصقت فوهة مسدس باردة بصدغه ، مع صوت  
صارم ساخر ، يقول :

- هل أخذتك المفاجأة أيها الوغد البدين !؟

تسعت عينا (جياروف) فى رعب ذاهل ، وهو يحثق  
فى عمالقته الأشداد ، الذين تناثروا على أرضية حجرة  
مكتبه ، محطى الأوف والفكوك والأسنان ، قبل أن  
يرفع عينيه إلى (أدهم) الواقف أمامه ، والذى انتزع  
عن وجهه قناعاً مطاطياً ، وهو يقول للآخر ، الذى  
يلصق فوهة مسدسه الباردة بصدغه :

- مدهش .. لقد وصلت فى اللحظة المناسبة بالضبط  
ياسيدة العميد ، فلولم تقتحم النافذة فى هذا التوقيت  
بالتحديد ، لكانت نهايتى ولاشك .

أشار (أدهم) بيده ، وهو يجيب زميله (مدحت) :

- إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) .

زفر (مدحت) ، قبل أن يبتسم فى توتر ، قائلاً :

- من حسن الحظ أن هذا البدين لم يلتصق بسيادتك  
أو بالجنرال (كواليسكى) من قبل ، وإلا لميز اختلاف  
الصوت من الوهلة الأولى .

لم يفهم ( جياروف ) حرفاً واحداً مما نطقاه ،  
وهو ينقل بصره بينهما في ذعر ، قبل أن يقول في  
التهيار :

- مستحيل ! كيف !؟ كيف فعلت هذا !؟

أجابه ( أدهم ) في سخرية :

- مجرد استغلال للطبيعة الإجرامية في أعماقكم ،  
أيها الوغد البدين .. فظهور زميلي متكرراً بهيئتي ،  
ومن فوقها هيئة ذلك الخائن ( كواليسكى ) ، وتصورك  
أنك قد كشفت أمره بعقريتك وتكلمك الوهميين ، أفقدك  
الحذر ، وأصاب رجالك يزهوة الظفر ، مما أتاح لى التسلُّل  
إلى سطح بنايتك ، وافتحام حجرتك على هذا النحو .

حاول ( جياروف ) أن يتماسك ، وهو يقول في  
توتر لا محدود :

- لن .. لن يمكنك أن تربح هذه المرة ..  
رجد .. رجالي أبلغوا ( يورى ) ، ولا ريب أنه في  
طريقه إلى هنا ، في هذه اللحظة .

هز ( أدهم ) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

- لا بأس .. مهمتنا هنا لن تستغرق وقتاً طويلاً .

ثم اكتس صوته بصرامة قاسية مباغتة ، وهو  
يجنب إبرة مسدسه ، مستطرداً في خشونة ، وبصوت  
يتجمد له الدم في العروق :

- أين رفاقي أيها الوغد !؟

ازدرد ( جياروف ) لعايه في صعوبة ، وهو يقول :

- لن أخبرك أبداً ، حتى لو ..

قبل أن يتم عبارته ، خفض ( أدهم ) فوهة مسدسه  
بحركة سريعة ..

ثم ضغط الزناد ..

ومع دوى الرصاصة ، شعر ( جياروف ) بالآلام رهيبة  
في كفه اليسرى ، فانتظقت من حلقة صرخة هائلة ،  
وهو يرفع يده المحطمة ، التى تنزف منها الدماء في  
غزارة ، ويحلق فيها برعب ..



وينفس بسرعة ، عاد (أدهم) يلصق فوهة مسدسه ،  
التي انتهت مع خروج الرصاصة ، بصدغ (جياروف) ،  
وهو يقول بصوت رهيب مخيف :

- يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيدًا أيها الحقير ..  
إننا نتحدث عن رفاقي .. عن كل ما لى فى الحياة ..  
وحياتك كلها لن تساوى قلامة إظفر أحدهم ، فإما أن  
تخبرنى أين أرسلتهم ، أو لن أتورع عن تحطيم جسدك  
قطعة قطعة ، حتى أظفر منك بما أريد .

هتف (جياروف) ، بكل الذعر والألم :

- لا .. لا يمكننى أن أفعل .. (يورى) سيقطننى  
لو فعلت .

صاح به (أدهم) فى قسوة :

- وأنا سأقتلك لو لم تفعل .

هز (جياروف) رأسه فى عنف ، صائحاً :

- لا .. لا يمكننى أن ..

بتر صيحته بدوى رصاصة أخرى ، هشمت ركبته  
اليمنى ، فصرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

وفى توتر ، قال (مدحت) ، وهو ينظر فى ساعته :

- الوقت يمضى بسرعة ياسيادة العميد ، ودوى  
الرصاصات سيجذب باقى رجاله حتمًا .

لم يبد حتى أن (أدهم) قد سمعه ، وهو يعود  
ليلصق فوهة المسدس بصدغ (جياروف) ، قائلاً  
بكل صرامة الدنيا :

- الفرصة الثالثة والأخيرة أيها الوغد البدين ..  
إما أن تخبرنى أين أرسلت رفاقى ، أو أفسف رأسك  
الفارغ بلا رحمة .

وانعقد حاجبا (مدحت) ، وهو يطالع هذا المشهد  
بقلق وتوتر بالغين ..

كان من الواضح أن (أدهم صبرى) قد ألقى كل شيء  
فى الوجود خلف ظهره ؛ لأن الأمر يتعلق برفاقه ..

بكل من أحب ، فى الدنيا كلها ..

شقيقه ..

وحبيبته ..

وصديق عمره ..

ومن تبقىا من أول فريق انتخبه وقاده ، منذ عمل

بالمخابرات ..

ولقد خسر ثالث أفراد الفريق بالفعل ..

وهو غير مستعد لخسارة أى مخلوق آخر ..

أى مخلوق ..

ومهما كان الثمن ..

ولقد بكى ( جياروف ) كطفل مذعور ، وهو يلوح

بيده السلمية ، ويبذل قصارى جهده ، لتجاوز تلك

الغصنة فى حلقه ، قائلاً بصوت مرتجف :

- لـ .. ليند . ( ليننجراد ) .

سأله ( أدهم ) فى حسوة أكثر :

- أين فى ( ليننجراد ) !؟

تعال فى تلك اللحظة وقع أقدام ثقيلة ، تعدو نحو

الحجرة ، فأشار ( مدحت ) بيده ، قائلاً فى توتر :

- لقد أتوا .

أدار ( جياروف ) عينيه إلى الباب فى لهفة وأمل ،

فى حين تجاهل ( أدهم ) الموقف كله ، وهو يجذب

إبرة مسدسه ، ويكرّر بقسوة وخشونة عنيفين :

- أين فى ( ليننجراد ) ، أيها الوغد البدين !؟

أقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر ، فهتف ( مدحت ) :

- سيادة العميد .

استدار إليه ( أدهم ) بحدة غير طبيعية ، وصاح

بالروسية :

- كلاً .. لن ننصرف ، قبل أن أحصل على العنوان ،

أو أقتل هذا الوغد البدين كخنزير أجرب حقير .



عبارته الروسية جعلت (جياروف) ينكمش في مقعده ، بكل رعب الدنيا ، وهو يهتف :  
- سأخبرك .. سأخبرك فوراً .

في نفس اللحظة ، التي هتف فيها بعبارة هذه ، كان الرجال ، الذين أرسلهم (يورى) ، قد بلغوا المكان ، وصاح قائدهم في صرامة :  
تذكروا أوامر الزعيم .. لارحمة مع العدو .

مع آخر صيحته ، اندفع لرجال كلهم نحو باب حجرة مكتب (جياروف) ، وانقضوا عليه ، فحطموه بأجسادهم القوية ، قبل أن ترتفع فوهات مدافعهم الآلية ، لتطلق الرصاصات القاتلة كالطمر ، في كل مكان بالحجرة الواسعة ..  
بلا استثناء ..

\* \* \*

« أيها الفتلة الأوغاد .. »

صرخت (منى) بالعبارة في ارتياح ، وهي تثب نحو (قدرى) ، الذى سقط كالحجر ، بعد أن أصابته رصاصة

(زيون) ، علقى (العليا) الروسية ، والمسئول عن مخازن (جياروف) فى (ليننجراد) ، وهتف الدكتور (أحمد صبرى) ، وهو يحلل أضرار قميص (قدرى) فى سرعة :

- ضمادات .. أريد أى شىء يصلح كضمادات بسرعة .  
انتزع (شريف) قميصه ، وناوله إياه ، هاتفاً :  
- هل يصلح هذا ؟!

أما (ريهام) ، فقد رفعت وجهها وعينيها الغاضبتين إلى (زيون) فى مقت ، فى حين غمغم أحد الحارسين ، المرافقين لذلك الأخير ، فى قلق شديد :  
- الزعيم أمر بالحفاظ على حياتهم .

زمجر (زيون) ، قاتلاً فى شراسة :

- إلا عند محاولتهم الفرار .

قال الحارس الآخر فى حدة :

- وهل فعلوا ؟!

استدار إليه ( زيون ) ، قائلاً في صرامة غاضبة :  
- كانوا يخططون لهذا .

هتف الأول :

- ومن أدراك !؟

صاح به ( زيون ) في شراسة :

- أنا أقول هذا .. هل من اعتراض !؟

صاح به الحارس الثاني في غضب :

- نعم .. إننى أعترض .. وبشدة .

رفع ( زيون ) فوهة منفعه الآلى ، وهو يقول في  
وحشية :

- فليكن .

ثم صُفِظ الزناد ، مستطرداً :

- فلنقض على الجبهة المعارضة إنن .

اتطلقت رصاصاته تحصد الرجل ، وتتترعه من مكته ،

لندفعه إلى الخلف أربعة أمتار كاملة ، مع عنف  
للرصاصات ، حتى ارتطم بالجدار ، وسقط جثة هامدة ،  
تاركاً بقعة كبيرة من الدم خلفه ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ الحارس الآخر :

- لقد قتلته أيها الوغد .. لقد قتلته .

استدار إليه ( زيون ) كالوحش الكلسر ، وهو يصرخ :

- الحق به في الجحيم إذن .

رفع الحارس فوهة منفعه بسرعة ، ولكن ( زيون )  
أطلق رصاصاته أولاً ، وراها تخترق جسد زميله ، وتلقيه  
أرضاً ، لتندفق الدماء من إصاباته بمنتهى العنف ..

وفي غضب هائل ، زادت راتحة الدم جنوناً ، رفع  
منفعه الآلى ، وتألقت عيناه كالوحوش ، وهو يقول :

- أريتما أيها الغيبين !؟ كل هذا من أجل حفنة

من المصريين !؟

يا للسخافة ! يا للغباء !!



حذق الرجلان الآخران في الجثتين ، في حين حذق  
ثانثهم في ( زيون ) ، الذي أطلق رصاصات مدفعه في  
سقف المكان ، صارخا بكل الغضب والصرامة :  
- إلى الخارج .

أسرع الرجال الثلاثة يغادرون المكان ، وكلهم  
حيرة وقلق ، وأغلق آخرهم الباب خلفه ، فاتعقد  
حاجبا ( زيون ) الكئين ، وهو يكرّر :  
- لا بد أن يموتوا جميعا .

ثم استدار بكل غضبه ، وجنونه ، وفوهة مدفعه  
الآلى القاتلة ، ودفع باب سقف مخزن الغلال بقدمه ،  
و ...

ودوت الرصاصات في المكان ..  
بكل العنف .

\* \* \*

ثم تحول يريق عينيه إلى لون دموى مخيف ،  
وهو يضيف :

- من الواضح أنهم سيسببون لنا مشكلات بلا حدود .

جذب إبرة مدفعه الآلى ، مستطرّدا :

- حتى يذهبوا إلى الجحيم .

افتحم ثلاثة من الرجال المكان ، في تلك اللحظة ،  
وأحدهم يصرخ :

- ماذا حدث ؟!

لم يكذ يطلق صرخته ، حتى لمح جثتى الحارسين ،  
فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتفع مدفعه الآلى  
بحركة غريزية ، وهو يهتف :

- يا للـ ..

صاح به ( زيون ) في وحشية ، قيل أن يتم هاتفه :

- اخرج .. اخرجوا جميعا .

## ٢- المقاتلون ..

« أتني أعرف هذا الرجل .. »

غمغم أحد مرشدي الشرطة المصرية بالتعبارة ، وهو يتطلع إلى صورة القتييل ، الذي انتهت إليه التحريات ، بشأن دخول أسطوانات غاز الأعصاب إلى (مصر) ، فمال نحوه أحد قيادات الشرطة ، يسأله في صرامة :

- ما كل معلوماتك عنه ؟!

بدا المرشد متوتراً ، وهو يشير بيده ، مجيباً :

- إنه نصف يوناني ، ونصف فرنسي ، يقيم في (مصر) منذ مولده .. والده كان يمتلك باراً في (الإسكندرية) ، ولقد ورثه هو ، وباعه ، و ...

قاطعه أحد اللوآات في حدة :

- إنك لم تذكر اسمه بعد .



ودفع باب سقف مخزن الغلال بلذمه ، و  
ودوت الرصاصات في المكان



أزرد المرشد لعابه في صعوبة ، قبل أن يجيب :

- لست أعرف اسمه الحقيقي ، ولكن كلنا نخاطبه

باسم ( جريكو ) ؛ نظراً لأن ..

دفع أحدهم نحوه ورقة كبيرة وقلماً ، قبل أن يتم

حديثه ، وقال بصوت هادئ للغاية ، بخلاف الآخرين :

- دون كل ما تعرفه هنا .

التقط المرشد القلم والورقة ، وهو يتطلع إلى ذلك

الرجل ، الذي يرتدى ثياباً مدنية ، والذي بدا مختلفاً

بشدة عن الآخرين ، وتمتم :

- كل ما أعرفه !؟

وعلى عكس الآخرين أيضاً ، منحه الرجل ابتسامة

هادئة ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً في حزم :

- كله .

تردد المرشد بضع لحظات ، ثم اندفع بغتة يكتب

كل ما يعرفه عن ( جريكو ) هذا ..

ويكتب ..

ويكتب ..

نصف ساعة كاملة ، دون خلالها كل ما لديه من

معلومات ، عن القتل نصف اليوناني ، قبل أن يناولهم

الورقة ، قائلاً بتوتر شديد :

- هذا كل شيء .

مد أحد رجال الشرطة يده إلى الورقة في لهفة ، ولكن

ذلك المدني الهادئ استوقفه بإشارة صارمة ، قبل أن

يتطلع إلى المرشد في هدوء ، قائلاً :

- راجع ما كتبته جيداً ، وأضف كل ما تتذكره ،

ولا تغفل أية ملحوظة ، مهما بدت لك تافهة .

همس أحد رجال الشرطة في عصبية :

- إتينا نضيع الوقت بهذا .

أجابه المدني في هدوء حازم :

- بل نربح الوقت يا رجل .

ثم عاد يلتفت إلى المرشد ، ويقول في هدوء ، لم يتخل هذه المرة من الصرامة :

- راجع ما كتبته .

استعاد المرشد الورقة ، وراح يقرأ كل ما كتب ، ثم بدأ يضيف كلمة هنا ، وأخرى هناك ، ومعلومة بين السطور ، وهكذا ، فمال المدنى على رجل الشرطة ، هامساً :

- أرايت .. معلومة صغيرة إضافية ، قد توفر يوماً كاملاً فى البحث والتحرى .

غمغم رجل الشرطة بابتسامة عصبية :

- فهمت .

انتهى المرشد من المراجعة ، وسلمهم الورقة ، فالتقطها المدنى هذه المرة ، وقرأها فى عناية بالغة قبل أن يشير إلى المرشد ، قاتلاً :

- ابقى فى الجوار ، فقد نحتاج إليك مرة أخرى .

نهض المرشد ، مغمغماً فى توتر :

- بالتأكيد .. بكل تأكيد .

لم يكد يغادر الحجر ، حتى وضع رجل المخابرات الورقة على المائدة ، وقال لقيادات الشرطة من حوله :

- أظننا قد وضعنا يدنا على بداية الخيط أيها السادة .

نطقها ، وهو يشير إلى عبارة أضافها المرشد بين السطور ..

عبارة تحوى معلومة صغيرة ..

صغيرة جداً ..

\* \* \*

كان الغضب - كل الغضب - يملأ كيان العملاق الثائر (زيون) ، وهو يميل بقوهة مدفعه الآلى داخل صومعة الغلال ، وقد اتخذ قراره بقتل كل رفاقى (أدهم) ..

بلا استثناء ..



وفي أعماقه ، كان وثاقاً من أن هذه العملية لن تستغرق سوى دقيقة واحدة ، على أقصى تقدير ..

فالصومعة محكمة ، ولها سقف مرتفع ، ومن بداخلها لا يحملون أية أسلحة ، ولا يوجد ما يمكنهم الاختباء خلفه ، و ...

ولكنه أهمل عاملاً واحداً ، شديد الأهمية والخطورة ..

أن من داخل الصومعة ليسوا أشخاصاً عاديين ..

إن أربعة منهم ينتمون إلى المخابرات العامة المصرية ..

ونصفهم من المقاتلين ..

لذا ، فما إن مال (زيون) ، لتصفية رفيق (أدهم) ، حتى فوجئ بحذاء كبير ينطلق تحوه ، ويرتطم بوجهه مباشرة ..

ومع عنف الارتطام ، تراجع جسده بحركة حادة ، وهو يطلق صرخة ألم ، مع سباب ساخط ..

وبحركة غريزية ، ضغطت سبيلته زناد منفعة الآلى ، فاطلقت رصاصاته تدوى في عنف ..

وتضاعف غضب الصفاق ، وهو يعتدل ، ويمسح وجهه في حدة ، صارخاً :

- هل تتصورون أن هذا سينقذكم من يدى ، أيها المصريون الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتطم شىء ما بساقه ، ثم التفت حولها بسرعة ، فاحضى يلقي نظرة سريعة عصبية عليه ..

ومن النظرة الأولى ، أدرك (زيون) أن أسراه قد مزقوا ملاءة عادية ، وصنعوا منها ما يشبه الحبل ، واستخدموا ما صنعوه ، مع حذاءى (قدري) الضخمين ، لصنع سلاح بدائى ، فذفته (منى) نحو ساقه ، ليلتفت حولها فى إحكام ..

وبغضب أكثر ، اتحنى (زيون) ليحل الحبل عن ساقه ، وهو يهتف :

- يا للسخافة ! هل اعتقدتم أنكم ستربحون المعركة ، بزواج من الأحذية ، وحبل ؟

لم تكذ عبارته تكتمل ، وقبل حتى أن يلمس الحبل ،

كلن (شريف) و(ريهام) ، و(منى) يتعاونون ، لجذب  
الحبل في قوة ، اختل معها توازن العملاق ، فأطلق  
سباباً ساخطاً آخر ، و ...

وفجأة ، وجد نفسه يهوى ، عبر تلك الفتحة في  
السقف ..

ومن ارتفاع خمسة أمتار ، ومع صرخة محدودة ،  
هوى العملاق الروسي ، ليرتطم بأرضية الصومعة في  
عنف ، تفجرت معه الآلام ، في كل ذرة من جسده ..  
وبثورة علمة ، حاول (زيون) أن ينهض ، هاتفاً :

- أيها الـ ..

ولكن (منى) وثبت نحوه ، وركلته في أنفه ركلة  
كالقنبلة ، هاتفة :

- إننى أفضل كثيراً المواجهات المباشرة .

ثم لحقت بها (ريهام) ، وركلته في فكه ، صائحة :

- وخاصة مع الأوغاد مثلك .

كانت الضربتان من العنف ، بحيث تكفيان لإسقاط  
ثور ، وعلى الرغم من هذا فقد أطلق (زيون)  
زمجرة ألم غاضبة ، وهو ينهض ، صارخاً :

- لن ينجو أحدكم من قبضتى .. لن ..

قبل أن تكتمل عبارته ، قفز (شريف) يختطف  
مدفعه الألى ، ثم رفعه ليهوى به بكل قوته على  
رأس العملاق ، هاتفاً :

- وماذا عن قبضتنا نحن ؟!

جحظت عينا (زيون) ، مع عنف الضربة ، وانتفض  
جسده كله في قوة ، وتجمد كيانه كله دفعة واحدة ،  
وتفجرت الدماء من رأسه في غزارة ، قبل أن يهوى  
كالحجر ، وسط بركة من الدم ..

وفي لهفة ، استدارت (منى) إلى الدكتور (أحمد) ،  
هاتفة :

- كيف حال (قنرى) ؟!

أجابها في توتر :



- بدانتته منعت الرصاصة من بلوغ قلبه ، ولكنه مازال بحاجة إلى إسعاف عاجل ، وتدخل جراحى سريع .

اتعقد حاجباها ، وهى تقول فى حزم :

- سنبتل قصارى جهدنا ليحصل عليهما .

ثم اثحت تنتزع الحبل المصنوع من قطع الملاعة ،  
( شريف ) يسأل فى عصبية :

- والآن ماذا ؟!

أجابته ( منى ) فى حسم :

- سنسعى للخروج من هنا .

سأل فى توتر شديد :

- كيف ؟!

التقطت المدفع الآلى من يده ، وراحت تعقد طرف الحبل عند منتصفه ، وهى تجيب فى حزم ، لم يخل من العصبية والتوتر :

- سنحاول تقليد ما يمكن أن يفعله ( أدهم ) ، فى ظروف مماثلة .

غمغم ( شريف ) فى انبهار :

- حقاً ؟!

أما ( ريهام ) ، فتساءلت فى حذر :

- وما الذى يمكن أن يفعله الأستاذ ، فى موقف كهذا .

تراجعت يد ( منى ) ، الممسكة بالمدفع الآلى ، وهى تجيب فى حزم صارم :

- هكذا .

قالتها ، وألقت المدفع بكل قوتها ، نحو تلك الفتحة بالسقف ..

ومع قوة الدفع ، عبر المدفع الآلى الفتحة ، إلا أنه عاد يسقط منها ، عائداً إلى داخل الصومعة ، فغمضت ( ريهام ) :

- آه .. فهمت .

واعتدل ( شريف ) ، قائلاً فى حزم :

- لو أنك تحاولين فعل ما تصوّرته ، فالأفضل أن  
تلقى المدفع نحو ركن الفتحة .

تألفت عينا ( منى ) ، وهى تقول :  
- هذا صحيح .

ومرة أخرى ، ألت المدفع الألى بكل قوتها ، نحو  
ركن فتحة السقف ، وراه الجميع يعبر الفتحة ، ثم  
يسقط بعيداً عنها ، والحبل يمتد إلى ركنها ، فهتفت  
( ريهام ) :

- الآن دعينا نسحب الحبل فى حذر .

استغرقت العملية ثلاث دقائق كاملة ، حتى أصبح  
المدفع الألى عند ركن الفتحة تماماً ، وطرفاه معلقان  
بزاوية الركن ، فزفرت ( منى ) ، ممتمة :  
- أخيراً .

وهتف الدكتور ( أحمد ) :

- هل وجدتم سبيلاً للخروج من هنا ؟!

أجابته ( منى ) فى حزم :  
- تقريباً .

ثم التفتت إلى ( شريف ) ، مستطردة بلهجة أمرية :  
- أنت ألقنا حجماً ووزناً .. هل يمكنك تسلق الحبل  
إلى الخارج ؟!

اتجه فوراً إلى الحبل ، وهو يجيب فى حماسة :  
- بالتأكيد .

قالها ، وبدأ يتسلق الحبل على الفور ، فغمغمت  
( ريهام ) فى توتر :

- المدفع لن يحتمل ثقله طويلاً .

غمغمت ( منى ) بدورها ، هى تراقبه فى قلق :  
- المهم أن يحتمل ، حتى يبلغ الفتحة .

كان ( شريف ) يتسلق الحبل بسرعة وخفة ، على  
الرغم من أنه لم يتدرّب طويلاً على مثل هذه الأمور ،  
باعتباره مدنياً ، تلقى ما يكفى لأداء مهمته فحسب ..



ومن أعلى ، دوت قرقة مكتومة ، ومالت ماسورة  
المدفع الآلى قليلاً ، فشهقت ( ريهام ) فى زعر ، فى  
حين تمتمت ( منى ) فى عصبية :

- لحتلى .. لحتلى بالله عليك .. عشر ثوان أخرى ..  
أرجوك .

تعلق ( شريف ) بالحبل أكثر ، وراح يدفع جسده  
إلى أعلى ، فى حين مالت ماسورة المدفع الآلى أكثر  
وأكثر وانثنت ، و ...

وفجأة انفلتت الماسورة من ركن الفتحة ..

واتسعت عينا ( منى ) ، و( ريهام ) عن آخرهما فى  
زعر ، عندما سقط المدفع مع الحبل دفعة واحدة ..

فقد كان هذا يعنى ضياع الأمل فى الخروج من  
هذا القبر الرهيب ..

آخر أمل ..

\* \* \*

اتعقد حلجبا ( يورى ) فى شدة ، وهو يتلقى محادثة  
هاتفية ، من قائد فريق القتل المحترفين ، الذى أرسله  
لمواجهة ( أدهم ) ، فى مقر ( جياروف ) ، وقال فى  
صرامة غاضبة ، قبل أن ينهيها :

- فليكن .. أبلغنى التطورات أولاً فأولاً .

أشعل سيجارته فى عصبية ، وهو يلقي هاتفه للجوال  
على المنضدة الصغيرة أمامه ، ويتراجع فى مقعده ،  
وقد رسم التوتر والغضب ملامحهما على وجهه فى  
وضوح ، فغمغمت ( زوشا ) فى حذر :

- هل .. هل تمكنوا منه !؟

هز رأسه نفيًا فى حدة ، ثم نفث دخان سيجارته  
فى قوة ، قائلاً :

- الأغبياء اتحموا الحجرة ، وألقوا النار دون تمييز ،  
فقتلوا ( فيدور ) ، ثم لم يعثروا على أثر للمصرى .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- أين ذهب إنن !؟

لَوْحَ بذرَاعِهِ فِي غَضَبٍ ، هَاتِفًا :

- مَاذَا دَهَاكَ يَا (زَوْشَا) !! رَجُلٌ كَهَذَا سَيَجِدُ حَتْمًا  
أَلْفَ وَسِيلَةٍ لِلْفِرَارِ ، مَا دَامَ أَغْبِيَاءُونَا قَدْ وَصَلُوا  
مَتَأَخِّرِينَ ، وَمَادَامَ الْغَضَبُ وَالْحَمَقُ قَدْ أَعْمَى عَيْونَهُمْ  
وَعَقُولَهُمْ ، إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَغْتَالُونَ مَعَهُ حَلِيقَنَا ، بَدَلًا  
مِنْ خَصْمِنَا .. سَيُخْرَجُ عَبْرَ مَمْرَاتِ التَّهْوِيَةِ .. مِنْ  
الْمَسْطَحِ .. مِنْ أَيِّ مَكَانٍ ، وَكَأَنَّهُ شَيْخٌ لَا تَرُصِدُهُ  
عَيْونُهُمْ .

قَالَتْ فِي تَوْتَرٍ بَالِغٍ :

- وَلَكِنْ مِصْرَعُ (جِيلَارُوف) سَيُثِيرُ مَشْكَلاتَ لِحْصَرِ  
لِهَا .

هَتَفَ فِي حِدَةٍ :

- سَنَصْنِبُهَا كُلَّهَا عَلَى رَأْسِ الْمِصْرِيِّ .

ثُمَّ عَادَ يَنْفُثُ دُخَانَ سِيْجَارَتِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَضِيفَ ،  
فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ :

- وَلَكِنْ هُنَاكَ عِدَّةُ نِقَاطٍ ، يَنْبَغِي أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا .

سَأَلْتَهُ فِي اهْتِمَامٍ حَذِرٍ :

- مِثْلُ مَاذَا !!

بَدَأَ عَلَيْهِ التَّفْكِيرُ أَكْثَرَ ، وَهُوَ يَتَرَجَعُ مُحَاوِلًا  
الِاسْتِرْخَاءَ فِي مَقْعَدِهِ ، وَيَنْفُثُ دُخَانَ سِيْجَارَتِهِ فِي  
بِطْءٍ ، وَيَشِيرُ بِيَدِهِ ، قَائِلًا :

- أَوَّلًا .. لِمَاذَا اخْتَارَ (فِيدُور) بِالْتَّحْدِيدِ !!

غَمِغَمْتَ فِي حَذِرٍ أَكْثَرَ :

- لَقَدْ هَاجَمَ (يَان) مِنْ قَبْلِ .

هَزَّ رَأْسَهُ نَفِيًّا فِي بِطْءٍ ، وَقَالَ ، وَكَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَى  
نَفْسِهِ :

- وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطْلُقِ النَّارَ عَلَى كَفِّهِ وَرِكْبَتِهِ ، كَمَا فَعَلَ  
مَعَ (فِيدُور) .

وَالْتَقَى حَاجِبَاهُ بِشِدَّةٍ ، مَعَ لِحْظَةِ الصَّعْتِ ، الَّتِي  
لَاذَّ بِهَا ، قَبْلَ أَنْ يَتَابِعَ فِي بِطْءٍ شَدِيدٍ :

- كَمَا لَوْ أَنَّهُ يُجْبِرُهُ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِشَيْءٍ مَا .



قالت ، وقد بلغ حنرها منتهاه :

- ( جياروف ) لن يخبره بأى شيء ، حتى لو ..

قاطعها فى مقت عجب :

- ( جياروف ) سينهار ويعترف ، لو أنهم قلموا

أظفاره ، ولكموه مرة واحدة فى كرشه الضخم .

تساءلت فى قلق :

- هل تعتقد هذا ؟!

عاد ينفث دخان سيجارته فى بطء ، ويشير بسبابته ،

قائلاً :

- ولكنه لم يحصل على ما يريد من ( فيدور ) .

شعرت بحيرة كبيرة ، وهى تسأله :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

استدار إليها فى بطء ، وتطلع إليها مباشرة ، وعلى

الرغم من هذا فقد بدا كمن يتحنن إلى نفسه ، وهو يجيب :

- لأنه استولى على هاتف ( فيدور ) المحمول .

وقبل أن تلقى سؤالاً آخر ، سحب نفساً عميقاً من

سيجارته ، قوال فى صرامة ، على نحو يوحى بأنه

يدلى بحقيقة ، لا تقبل الجدل :

- إنه يبحث عن رفاقه .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف فى غضب :

- لقد استوعب بعض الحقائق ، من ذلك الفيلم .

تساءلت ، وقد تضاعفت حيرتها :

- أى فيلم ؟!

مع شدة انعقاد حاجبيه ، بدا لها وكأنهما قد انعقدا ،

حتى امتزجا ، وهو يعتمر تفكيره فى صمت تام ، قبل

أن يعدل فجأة ، ويلتقط هاتفه المحمول مرة أخرى ،

قائلاً فى صرامة :

- لقد عرف كيف يتوصل إليهم .

ثم تألقت عيناه ، وهو يضرب أزرار الهاتف ،

مستظرداً فى وحشية :

- وعندما يذهب إليهم ، لابد أن نكون في انتظاره .

وأدار عينيه إليها مرة أخرى ، وهو يضيف :

- وأن تكون هذه هي الجولة الحاسمة .

وتضاعف تألق عينيه الدموي ، مع استطرادته  
الوحشية :

- والأخيرة .

وانتفض جسد (زوشا) . من قمة رأسها ، وحتى  
أخمص قدميها ..

لقد بدا من الواضح أن المواجهة الحاسمة قد  
أصبحت قاب قوسين ..

أو أدنى ..

\* \* \*

« كولونيل (كوروبوف) .. » ..

هتف (كواليسكى) بالاسم في غضب هدر ، وهو يقف  
أمام مكتبه ، في ممر مبنى المخبرات الروسية ، فتوقف  
(سيرجى) ، وانتفتت إليه في برود ، قائلاً :

- ماذا تريد يا جنرال ؟!

بدا (كواليسكى) ثائراً ، وهو يهتف في وجهه :

- اللعبة التى تلعبها لن تغلج أبداً يا كولونيل  
(كوروبوف) .

سأله (سيرجى) - فى برود أكثر :

- أية لعبة يا جنرال ؟!

صاح (كواليسكى) فى حدة :

- اللعبة الحقيرة ، التى تحاول من خلالها اقتزاع الثقة  
منى ، والفوز بكل ما حققته أنا . طوال السنوات  
الماضية .. لعبة اتهامى - بالعمالة لمنظمة (الماфия)  
الروسية .

عقد (سيرجى) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأله  
ببرود كالتلج :

- وهل أنت عميل لهم ياتفضل يا جنرال ؟!

صاح (كواليسكى) ، على نحو لفتق كل لعاملين بالتطبيق :



- كلاً بالطبع أيها الحقير .

غادر الكل حجراتهم ، ووقفوا في العمر ، يتطلعون  
في قلق إلى الرجلين ، و(سيرجي) يقول في برود ،  
تمثلت إليه لمحة ساخرة :

- لماذا القلق والغضب إن؟

احتقن وجه الجنرال (كواليسكي) في غضب ، وسحب  
مسدسه في حركة عصبية ، هاتفاً :

- أيها الـ ...

وقبل أن يتم عبارته ، انقضَّ عليه (سيرجي كوروبوف)  
فجأة ، وأمسك معصم اليد التي سحبت المسدس ،  
ورفعها إلى أعلى ، وهو يدفع الجنرال ألامه في  
خشونة ، ليصقّه بالجدار ، ويقترب بوجهه منه ،  
قائلاً في صرامة مخيفة :

- نعم يا جنرال (كواليسكي) .. أنا أتهمك بالعبالة ..  
وبالخيانة أيضاً .. وأتهمك بتدبير محاولة هلكي ، وإصاقي  
التهمة بـ (أدهم صبري) ورقاقه .

اندفع الرجال نحوهم ، في محاولة لغض الاشتباك ،  
وهتف أحدهم في قلق :

- كولونيل (كوروبوف) .. جراحك تتزف بشدة .

لم يبد على (سيرجي) أنه قد سمع ما قاله للرجل ،  
أو أنه يهتم بالدماء التي أغرقت قميصه ، وهو يضيف ،  
في وجه (كواليسكي) :

- ولن أهدأ حتى أسحقك سحقاً يا جنرال .

قال (كواليسكي) ، بكل مقت الدنيا :

- وأنا سأقتلك يا كولونيل .. أنت الآن رجل ميت ..  
اعتبر نفسك كذلك .

التفت عيونهما ، بنظرة تحمل كل المقت والتحدى  
من الجانبين ، و(سيرجي) يقول :

- سنرى يا جنرال .. سنرى .

وترك معصمه ، ليتراجع بحركة مفاجئة ، ثم اندفع  
يبتعد عبر العمر ، في حين هتف (كواليسكي) بالرجال  
من حوله :

- أرايتم؟! هل شاهدتم ما حدث؟! كولونيل يعتدى على جنرال .. كلكم شهود على هذا .

ثم استدار يلوح بيده الممسكة بالمسدس ، صارخاً :  
- سأحاكمك يا (كوريوف) .. سأحاكمك .

ولكن (سيرجى) لم يتوقف لحظة واحدة ، بل واصل طريقه بكل ثبات وحزم ..

ففى رأسه ، كان يدور الكثير ..  
والكثير جداً ..

\* \* \*

التقط (منحت) نفساً عميقاً ، وهو يدلف مع (أدهم) إلى المقر السرى لمركز المتابعة والمراقبة المصرى ، فى قلب (موسكو) ، وهتف :

- يا إلهى ! لم أتصور أبدا أننا سنعود سالمين .

لم يعط (أدهم) على عبارته ، وهو يناول (سامى) هاتف (جياروف) المحمول ، قائلاً بلهجة أمرة حازمة :

- أريد تقريراً مفصلاً عن كل أرقام الهواتف ، المسجلة هنا .

قال (سامى) فى حماسة :

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

قال (أدهم) فى صرامة :

- ابذل قصارى جهدك ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن .

ثم اتجه إلى حجرته بخطوات واسعة حازمة ، وهو يتساعل :

- أما زالت (ناديا) نائمة؟!

أتاد صوتها مفعماً بالنعاس ، وهى تقول :

- أنا هنا .

توقّف (أدهم) ، والتفت إليها ، وهى تقف بيباب حجرتها ، وقال بالروسية :

- لقد نطقت سؤالى بالعربية .



تثاعبت فى إرهاب ، قاتلة :

- وأنا لم أفهم منه سوى اسمى .

تابعها ببصره ، وهى تتجه نحو حجرة المعيشة ،  
وتلقى نفسها على الأريكة فى تهالك ، متسائلة :

- هل عثرت على رفاقك ؟!

أجاب فى تحفظ :

- علمنا أنهم فى ( ليننجراد ) ، ولكننا لم نتوصل

إلى التفاصيل بعد .

اعتقد حاجبها ، وهى تثاعب مرة أخرى ، قبل أن

تقول :

- ( ليننجراد ) ؟! إنها منطقة نفوذ ( جياروف ) .

عبارتها الأخيرة جعلتهم يتبادلون نظرة دهشة متواترة ،

قبل أن يسألها ( أدهم ) ، فى بطء وحذر :

- أليس لديك فكرة جيّدة عن تنظيم ( المافيا ) الروسية ؟!

تثاعبت للمرة الثالثة ، وهى تشير بيدها ، قاتلة :

- كنت أزمع تقديم برنامج عنهم ، وجمعت كل ما أمكنتنى  
من المعلومات ، ولكن رؤسائى رفضوا الفكرة تماماً .

ثم هزّت رأسها ، وكأنها تنفض التعلّس عن وجهها ،  
قبل أن تتساءل فى اهتمام بالغ :

- إنه ( جياروف ) .. أليس كذلك ؟!

أقترّب ( أدهم ) منها ، وسألها فى اهتمام :

- لو أنه هو ، فلين يمكن أن يخفيهم فى ( ليننجراد ) ؟!

بدت عليها علامات التفكير ، وهى تجيب :

- يوجد مكانان صالحان فحسب .. معامل الألبان ،

التي يمتلكها شرق ( ليننجراد ) ، أو صوامع الغلال ،

على بعد كيلو مترين ، قبل مدخل المدينة الرئيسى .

اعتدل ( أدهم ) ، والتقى حاجبها ، وهو يتمتم :

- على بعد كيلو مترين !!

ثم التفت إلى ( سامى ) ، قائلاً :

- ابحث عن رقم صوامع الغلال هذه ، فى هاتف (جياروف) .

أشار (سامى) بسبابته ، مجيئاً فى حماسة :

- لقد أجرى اتصاله بها سبع مرات ، خلال اليومين الماضيين ، وتلقى منها ستة اتصالات .

هاتف (مدحت) :

- إنها هى !

قال (أدهم) ، وهو يفكر فى عمق :

- المكان مثلى ومناسب تماماً ، ولكن ..

صمت قبل أن يتم عبارته ، فسأله (مدحت) فى قلق حذر :

- ولكن ماذا ؟!

بدا صوت (أدهم) أكثر قلقاً منه ، وهو يقول :

- خصمنا ذكى أكثر من اللازم ، على الرغم من

جنونه ، وعندما يعلم أننا قد هاجمنا (جياروف) ، واستولينا على هاتفه المحمول ، سيدرك هدفنا على الفور ، وهذا يعنى أن الوقت ليس فى صالحنا .

نقلت (ناديا) بصرها بينهما فى حيرة ، وهى لاتفهم شيئاً من حديثهما بالعربية ، فى حين تساعل (مدحت) فى توتر :

- ألا توجد وسيلة لبلوغ (لينجراد) ، بأقصى سرعة ممكنة ؟!

أجابه (سامى) :

- المسافة من (موسكو) إلى (لينجراد) تزيد على الألف كيلو متر ، ولا توجد طائرات إلى هناك ، قبل مساء اليوم ، وأية وسيلة أخرى للمسافر ، مهما بلغت سرعتها ، ستحتاج إلى خمس ساعات على الأقل .

هز (أدهم) رأسه نقياً ، وقال فى توتر حازم :

- لوصح ما أخشاه ، فليست لدينا ساعة واحدة .



هتف (سامي) :

- ساعة واحدة؟! يا إلهي! لكي تبلغ (لينجراد)  
بهذه السرعة، ينبغي أن تنطلق أسرع من الصوت.

تألفت عينا (أدهم)، وهو يردّد:

- أسرع من الصوت!؟

الأسلوب الذي نطق به العبارة، جعل الثلاثة يلتفتون  
إليه في انفعال، حتى (ناديا)، التي لم تفهم حرفاً  
واحداً مما نطقه ..

فريق عينيه، وتلك الانفعالات القوية، التي انحرفت  
بوضوح على وجهه، كانت تشفّ بقوة عن تلك  
الفكرة، التي تألفت بشدة في رأسه ..

الفكرة المجنونة ..

تماماً .

\* \* \*

### ٣- بين الغيوم ..

بمنتهى العنف، لتحم رجال الشرطة المصرية ذلك  
الوكر، في أطراف (القاهرة)، وأطلق قنذهم رصاصات  
مسنسه في الهواء، وهو يهتف في صرامة:

- فليثبت كل في مكانه .. أية حركة ستطلق النار  
على صاحبها مباشرة .

امتعت وجوه كل رواد الوكر، وألقى معظمهم من  
يده ما يحمله من مخدرات، في حين تراجع شخص  
تحيل طويل في توتر، ثم لم يلبث أن دار على عقبه،  
وانطلق يعدو عبر باب خلفي، بأقصى سرعته،  
فهتف قائد فريق الاحتحام:

- أريده حياً .

وثب أحد ضباط العمليات الخاصة عبر المكان،  
واتدفع عبر الباب الخلفي، ليعود خلف ذلك التحيل ..



استدار النحيل ، في حدة وعصبية ، واستلّ من حزامه خنجرًا ، حاول أن ينقضّ به على الضابط

ويكلّ ذعره ، راح النحيل يصرخ ، ويصرخ ، وهو يلهث في عنف ، وأنفاسه تنقطع ، مع ضعف جسده ؛ بسبب السموم المخدّرة ، التي اعتاد تناولها ..

وقبل أن تمضي دقيقة واحدة ، لحق ضابط الشرطة بالنحيل ، ووضع يده على كتفه في صرامة ، قائلًا بقوة :

- لا تحاول يا رجل .

استدار النحيل ، في حدة وعصبية ، واستلّ من حزامه خنجرًا ، حاول أن ينقضّ به على الضابط ، الذي أمسك معصمه بحركة قوية سريعة ، ولواه في قوة ، وهو يقول في صرامة :

- المقاومة ستزيد موقفك صعوبة أيها الحقير .

ثم هوى على فكه بلكمة ، مستطردًا :

- ولديك بالفعل ما يكفي .

انهار النحيل ، وراح يبيكي في عنف ، والضابط يدفعه أمامه في خثونة ، عندًا إلى الوكر ، ليقول لقلنده في حزم :

- تم تنفيذ المهمة .



أشار إليه قائده ، قائلاً :

- إنه مسئوليتك الآن .. منصطحب الآخرين إلى مديرية الأمن ، وخذ أنت الرجل إلى غرفة عمليات الطوارئ فوراً .. إنهم ينتظرونه الآن .. وأسرع بالله عليك ، فكل ثانية ثمنها .

لم تمض على قوله هذا دقائق عشر ، حتى كان التحليل يرتجف في ارتياح ، وهو يقف أمام ثلاثة من قيادات الشرطة ، ورجل المخابرات في ثيابه المدنية ..

وفي صرامة ، قال أحد قيادات الشرطة :

- (ثروت صبران) .. الشهير بـ (كسبريس) .. مروّج مخدرات ، مسجّل خطر ، ومطلوب في ثلاث قضايا .

لم يفهم مروّج المخدرات الصغير ، لماذا يهتم ثلاثة من قيادات الشرطة بأمره ، ولماذا يتم إحضاره إلى هذا المكان ، الذي يوحى كل ما فيه بالأهمية والخطورة ، على الرغم من أنه ليس أحد كبار تجار المخدرات ، ولكنه ، وعلى الرغم من حيرته ، ضمغم في رعب :

- تحت أمرك يا سيادة اللواء .

مال آخر من قيادات الشرطة ، ليمسّله في صرامة أكثر :

- أنت مورد مخدرات الرئيس للمهرب (جريكو) .. ليس كذلك !؟

اتكمش (ثروت) على نفسه في خوف ، وهو ينقل بصره الزافع بين الجميع ، مجيباً في حذر زائد متوتر :

- (جريكو) !؟ ومن (جريكو) هذا !؟ لم أسمع به من قبل !

اشتعلت عيون رجال الشرطة غضباً ، حتى تمنى الرجل لو انشقت الأرض وابتلعته ، لولا أن نهض رجل المخابرات ، وقال في هدوء ، بدا عجباً للغاية ، وسط الموقف شديد التوتر :

- معذرة أيها السادة .. هل يمكنكم أن تتركوني وحدي بعض الوقت ، مع السيد (ثروت) .

لقب (السيد) هذا أشار حفيظة قيادات الشرطة ، ودهشة مروّج المخدرات البالغة ، على نحو جعله

بحدق في وجه رجل المخابرات بذهول خائف حذر ،  
في حين قال أحد قيادات الشرطة ، في غضب لم  
يستطع إخفاءه :

- فليكن .. إنه لك .

ثم أضاف ، وهو يتجه مع رفيقيه إلى الخارج :

- مادام في هذا مصلحة الوطن .

ابتسم رجل المخابرات ، وكأنما يدرك أن طبيعة  
عمل الشرطة تختلف حتماً ، عن طبيعة عمل  
المخابرات ، وانتظر حتى أصبح وحده فعلياً مع  
مروّج المخدرات النحيل في الحجرة ، قبل أن يمنحه  
ابتسامة هائلة ، وهو يشير إلى مقعد قريب ،  
قائلاً :

- اجلس يا ( ثروت ) .

تراجع المروّج ، وهو يسأله في خوف حذر :

- ماذا ستفعل بي ؟!

تجاهل رجل المخابرات السؤال تماماً ، وهو يميل  
نحوه ، قائلاً ، بنفس الهدوء العجيب ، وابتسامته  
لاتفارق شفقيته :

- نحن نعم بأمر علائقك بـ ( جريكو ) ، وبأنك لمؤرد  
الخاص للمخدرات له ، ولكن هذا لا يعني في الوقت  
الحالي ، حتى إننا لن نوجه إليك أية اتهامات بشأنه .

تطلع إليه النحيل في شك ، وهو يتساعل في حذر :

- لماذا فعلتم كل هذا إذن ؟!

هزّ رجل المخابرات كتفيه ، وقال في هدوء :

- كان من الضروري أن نحضرك .

ثم نظر في عينيه مباشرة ، وأضاف في بساطة :

- لماذا لا تجلس لتتحدث أفضل ؟!

بدأ لهجته ، على الرغم من بساطتها ، حزمة أمره ،  
حتى إن النحيل قد جلس في آلية ، وهو يتمتم :

- ( جريكو ) كان مجرد زبون .



سأله الرجل في صرامة مباحثة :

- لماذا استخدمت كلمة ( كان ) ؟!

ارتبك ( ثروت ) ، وهو يقول في عصبية :

- إننى لم أقصد شيئاً ، ولم ..

مال رجل المخابرات نحوه بحركة حادة ، وقال في

صرامة شديدة :

- لماذا يا ( ثروت ) ؟!

قسعت عينا مروّج المخدرات في رعب ، ثم لم يلبث

جسده كله أن ارتجف ، ونمعت عيناه بشدة ، وانخفض

صوته حتى بلغ حافة الهمس ، وهو يقول :

- أنا لم أقتله .. أقسم لك .

تراجع رجل المخابرات في بطم ، وهو يسأله :

- من فعلها إذن ؟!

هز رأسه في قوة ، وانحدرت دموعه على وجهه ،

وهو يقول :

- لست أدرى .. لست أدرى .

ثم توقّف بغتة ، مضيقاً في حذر عصبى :

- ربما ..

نطقها ، ثم توقّف دفعة واحدة ، فقال رجل

المخابرات يستحثة ، في هدوء :

- ربما ماذا ؟!

رمقه النحيل بنظرة شديدة الحذر ، وهو يقول :

- هناك ذلك الرجل الآخر ، الذى اتصل به ، فى

الأيام الأخيرة .

تأثقت عينا رجل المخابرات ، وقال فى اهتمام :

- الرجل الآخر ؟! أى رجل آخر .

تردّد ( ثروت ) لحظة ، ثم اندفع يقول :

- رجل أشقر ، يتحدّث دائماً فى صرامة ، وعيناه

تلتمعان على نحو مخيف .. لست أدرى فيم كانا

يتحدّثان ، فاللغة التى استخدمها غير مألوفة .. ربما

هى اليونانية أو ...

قال رجل المخابرات في حزم :

- أو الروسية .

ارتفع حاجبا (ثروت) ، وكأنما أدهشه القول ،

وقال :

- نعم .. أعتقد إنها كذلك .. إنها تماثل لغة تلك

الراقصة ، التي ..

قاطعته رجل المخابرات ، في حزم أكثر :

- هل تعرف أين يقيم تلك الأثمقر !؟

هز النحيل رأسه في قوة ، قائلاً :

- كلاً .. أقسم لك .. كلاً ..

ترجع رجل المخابرات ، وتطلع إلى النحيل بنظرة

حادّة صارمة ، فكرر هذا الأخير في انهيار :

- أقسم لك .

ظلّ رجل المخابرات المصري يتطلع إليه بضع

لحظات ، قبل أن يسأله :

- هل يمكنك أن تصف ذلك الأثمقر بدقة !؟

حدق في النحيل لحظة في دهشة ، قبل أن يجيب

في حذر :

- نعم .. أعتقد هذا .

تألقت عينا رجل المخابرات ، وهو يقول :

- عظيم .

فبالنسبة إليه ، كانت هذه خطوة جديدة ، تجعلهم

أكثر قريباً من الهدف ..

الهدف الذي يتحتم بلوغه ، قبل أن تحين لحظة

الصفير ..

وإلا ...

\* \* \*

على الرغم من آلامه ومتاعبه ، وجراحه التي

اضطرت له لإحاطة وسطه كله بالضمادات ، وقف

(سيرجي كوروبوف) ثابتاً مشوقاً ، في حجرة مكتب



( فيدور جيلروف ) ، التي تحوكت إلى بركة من الدم ، بعد رفع جثة هذا الأخير منها ، واستمع في اهتمام إلى أحد الحراس العمالقة ، وهو يقول في عصبية :

- الزافر كان يدعى (كواليسكى) .. للجنرال (جوزيف كواليسكى) .. اسمه وصورته مسجلان في كمبيوتر الأمن عند المدخل .

اتفقد حاجبا ( سيرجى ) الكئيب ، وهو يقول :

- الجنرال (كواليسكى) ؟! ولكن هذا مستحيل  
بارجل !

مستحيل تماما ! ؛ ففي التوقيت الذي ذكرته ، كنت شخصياً مع الجنرال (كواليسكى) في الإدارة .

لوماً للحارس الضخم برأسه متفهماً ، وتحسس كلمة كبيرة في فكه ، قبل أن يقول في انفعال :

- هذا صحيح بالتأكيد ، فلزعيم أطلق إشارة للخطر ، ثم حاصرنا تلك الزائف ، وانترعنا عن وجهه قناعاً ،

و ...

قبل أن يتم إفادته ، أشار إليه (سيرجى) في حزم ، قائلاً :

- فهمت .

وعاد حاجباه يتعقدان وهو يضيف :

- ولكن هذا عجيب للغاية .

أدار عينيه مرة أخرى في المكان ، قبل أن يقول في صرامة :

- إنه لم يكن قط دموياً .

ثم استدار إلى الحارس الخاص ، مستطرداً في دراسة :

- لذا فهناك أمر لم تذكره بعد .

قال الحارس في صرامة عصبية :

- لقد ذكرت كل ما حدث ، ولن ..

فجأة ، لتقضّ عليه (سيرجى) ، ولكمه في معدته

بكل قوته ، ثم هوى على فكه وأتفه بلحمتين عفيفتين  
سريعتين ، قبل أن ينتزع مسدسه من حزامه في  
صرامة ، ويلصق فوهته بأسفل ذقن الرجل ، قائلاً  
في غضب هائل :

- ربما كانت لدى وسيلة لإعاش ذاكرك إليها الوغد ،  
فأما أن تفسح عن كل ما أخفيته ، وإلا حققتك بمصل  
الحقيقة هذا ، الذي سيرسلك إلى الجحيم بالبريد  
المستعجل ..

امتقع وجه الحارس ، وهو يقول في عصبية :

- هذا التصرف غير قانوني يا كولونيل .

دفع ( سيرجي ) فوهة مسدسه في قسوة أكثر ،  
وهو يقول :

- عظيم .. قدم شكوى بهذا إلى شياطين الجحيم .

قالها ، وسحب إبرة مسدسه في حزم صارم ،  
جعل الحارس يهتف :

- مهلاً .. لم أقل : إننى لن أخبرك .

دفع ( سيرجي ) فوهة مسدسه بقسوة أكثر وأكثر ،  
وهو يقول :

- عظيم .. كلى آذان مصغية .

لم تكذ شفقا الحارس تتفرجان ، حتى اندفع أحد  
رجال ( سيرجي ) إلى المكان ، وهو يهتف :

- خبر مذهل يا كولونيل .

قالها ، وتوقّف لحظة ، يحدّق في المشهد بدهشة ،  
فصاح به ( سيرجي ) في صرامة شديدة :

- أى خير !!

مال الرجل على أنه ، وهمس بالخبر ، فاتعقد حاجبا  
( سيرجي ) في شدة ، وغمغم :

- مستحيل !

فما أخبره به الرجل ، كان يندرج حتماً تحت خانة  
المستحيل !

ويكل المقاييس ..

\*\*\*



أطلق جندي الحراسة ، في المطار الحربي القديم ، على بعد عشرة كيلومترات من (موسكو) الهدف في قوة ، وهو يضرب كعبيه ببعضهما ، ويشد قامته في وقفة عسكرية صرامة ، فور رؤيته للسيارة ، التي توقفت أمام البوابة الرئيسية مباشرة ، والتي تحمل على مقدمتها علم (روسيا) ، مع لوحات تفيد بانتمائها إلى مؤسسة الرئاسة هناك ..

وفي حزم من اعتاد إلقاء الأوامر ، أطل قائدها برأسه ، من النافذة المجاورة له ، وناول الجندي بطاقة هوية خاصة ، وهو يقول :

- الجنرال (مالينوف) .. افتح البوابة .

التقط الجندي البطاقة ، وتطلع إليها بضع لحظات في اهتمام ، ثم دسها في جهاز خاص ، فحص الشريط المغنطيسي داخلها ، قبل أن يضاء مصباح أخضر صغير في الجهاز ، معلناً صحة البطاقة ، فأعادها الجندي إلى الجنرال في احترام ، قائلاً في حذر :

- معذرة ياسيدى الجنرال ، ولكن الأوامر تحتم معرفة سبب الزيارة .

تراجع الجنرال ، قائلاً في صرامة شديدة :

- للتفتيش :

لم يستوعب الجندي الأمر ، خاصة وأن هذا المطار لا يحوى سوى بضع طائرات ، من طراز (ميج) ، يعود طرازها إلى أواخر الثمانينات . ولم تعد تستخدم إلا في عمليات البحث ودوريات مراقبة الحدود فحسب ، إلا أنه ، وأمام الموقف المباشر ، وعلى الرغم من حيرته ، لقدوم جنرال على هذا المستوى ، دون سابق خاص يقود سيارته ، لم يكن يملك سوى فتح البوابة أمام السيارة ، وتأدية التحية العسكرية بكل قوة ..

وفي هدوء ، عبر الجنرال البوابة بسيارته ، فقال الجندي في اهتمام :

- هل ترغب في لقاء الطيارين ياسيدى الجنرال؟!  
 لأجابه الجنرال في صرامة :  
 - كلا .. الطائرات فحسب .

مرة أخرى لم يفهم الجندي الأمر أو يستوعبه ، إلا أنه  
اكتفى بهز رأسه ، وبالسخط في أعماقه ، عن هذه  
التصرفات العشوائية ، لرجال القيادة ..

أما الجنرال نفسه ، فقد انطلق بسيارته على الفور  
إلى معمرات الإقلاع ، وأوقفها إلى جوار ثلاث طائرات  
(ميج) مقاتلة ، فالتفت إليه رجال الفحص والصيانة  
في حيرة قلقة متسائلة ، إلا أنه غمغم في سخريه ،  
وهو يغادر للسيارة في هدوء حازم :

- (قري) هذا عبقرى بحق .. الهوية العسكرية التي  
صنعها ، خدعت حتى أجهزة الفحص الإلكتروني .

اتجه في صرامة نحو الطائرات ، وأشار بيده  
للفنيين ، قائلاً :

- أيها مستعدّ للإقلاع !؟

أجابهم أحدهم ، في شيء من الحذر ، صنعه غرابية  
الموقف :

- هذه .. لقد تم تزويدها بصاروخين ، وخران وقودها  
ممتلئ ، وتمت مراجعة دواتها .

مطّ (أدهم) شفّيته ، متقمّصاً شخصية الجنرال الروسي  
الصارم العريق ، لذى لا يرضيه شيء ، ثم اتجه نحو  
الطائرة ، وتسلق سلمها القصير ، قائلاً بصرامة أكثر :

- ولماذا وحدها ؟! المفترض أن تكون كل الطائرات  
مستعدة ومتأهبة للإقلاع دوماً !

تبادل الرجال نظرة حائرة متوترة ، قبل أن يجيب  
أحدهم ، في حذر أكثر :

- هذ الطائرات لم تعد مقاتلة بالمعنى المفهوم  
يا سيّد الجنرال .

دسّ (أدهم) جسده داخل كابينة القيادة ، وهو  
يقول في صرامة :

- من قال هذا !؟

تعتقت حواجب الرجال في توتر شديد ، عندما أدار  
محرك الطائرة بالفعل ، وتبادلوا نظرة شديدة  
العصبية ، قبل أن يهتف أحدهم :

- سيّد الجنرال .. هذا غير قانوني .



صاح به (أدهم) ، في صرامة شديدة :

- اصمت .

ثم أغلق كابينة القيادة ، وهو يدفع للمقود إلى الأمام ، فبدأت الطائرة تتحرك على المنر ، مما ضاعف من توتر الرجال وعصبيتهم ، وبخاصة عندما اندفع أحد الطيارين خارج استراحتهم ، صائحاً في زعر :

- ماذا يحدث هنا ؟!

دفع (أدهم) المقود إلى الأمام أكثر ، فزادت سرعة الطائرة على ممر الإقلاع ، وصاح الطيار ، وهو يعدو خلفها :

- أوقفوا الطائرة .. يا إلهي ! ماذا يحدث هنا ؟! ماذا

يحدث هنا ؟!

في هذه اللحظة فقط ، أدرك الرجال أن مخاوفهم وشكوكهم كانت في محلها ، وأصابتهم حالة من الارتباك ، جعلتهم يعدون في كل الاتجاهات بلا هدف ، في حين اندفع الطيار نحو طقرة أخرى ، وهو يصرخ :

- أطلقوا إنذار الطوارئ .. أخطروا للقاعدة المركزية فوراً .

ووثب إلى الطائرة ، مواصلاً في ارتياح :

- يا إلهي ! كيف يمكن أن يحدث هذا ؟! كيف ؟!

انطلق هتافه الأخير ، في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها طائرة (أدهم) عن الأرض ، وسيارات أمن المطار تطاردها في استماعة ، وقائدتها يصرخ :

- أطلقوا النار .. امنعوه من الإقلاع بأي ثمن .

انطلقت الرصاصات خلف الطائرة كالمطر ، لكن (أدهم) جذب إليه المقود في قوة ومهارة ، فالتفت (الميج) ، وانطلقت في سماء (موسكو) ..

ومن خلفها ، انطلقت الطائرة الثانية ، وارتفعت بدورها ، وقائد أمن المطار يصرخ ، بكل غضب الدنيا :

- إنها كارثة ! فضيحة ! كيف يمكن أن تُسرق مقاتلة حربية هكذا ، في وضح النهار ؟! أريد إجراء تحقيق عاجل .. فوراً .

ضاعت صرخته في الهواء ، مع دوى محركات  
( الميج ) الثانية ، وهي تفلح خلف ( أدهم ) ، الذي  
انطلقت طائرته بتسارع منتظم ، في اتجاه الشمال  
الغربي ..

نحو ( لينجراد ) تمامًا ..

ولأن الطيار الروسي الذي يطارده ، طيار محترف  
قديم أرك ما يعنيه الانطلاق إلى هذه الزاوية بالتحديد ،  
والنقط مسامع جهاز الاتصال اللاسلكي ، يهتف :

- إذار عام .. إذار عام .. مجهول نجح في اختطاف  
مقاتلة من طراز ( ميج ) .. من مطار الطوارئ ( X-3 ) ..  
المقاتلة تتجه مباشرة نحو ( لينجراد ) .. استعدوا  
لاعتراضها .

استقبل جهاز اللاسلكي ، في طائرة ( أدهم ) العريضة ،  
الرسالة نفسها ، فارتسمت على شفقيه ابتسامة عجيبة ،  
لا تتناسب قط مع دقة الموقف ، وكأنما استعاد مشاعر  
الفتقدها طويلاً ، وغمغم :

- يبدو أنك ستضطر لبعض العبث يا ( أدهم ) .

قلها ، وزاد من سرعة مقاتلته ، لتبلغ ما يقرب سرعة  
الصوت ، وقد تألقت عيناه ببريق مدهش ..

بريق رجل يستعيد حياة ، اشتقدها لروح من الزمن ..

وعبر أجهزته ، رأى المقاتلة الأخرى تتسارع بدورها ،  
وقلدها يناور لينقض عليه مباشرة ، فجذب مقود  
طائرته ، وارتفع بها أكثر وأكثر ، ليخترق الغيوم  
الكثيفة ، وينطلق بينها بعض الوقت ..

وبدوره ، انطلق الطيار الروسي خلفه ، وهو يغمغم :

- ماذا يتصور أنه يفعل؟! إنها مناوره قديمة كلاهر .

راقب أجهزته كلها ، وهو يخترق لسحب ، وينطلق

نحو الشمال الغربي ، وواصل في شيء من التوتر :

- من سوء حظ ذلك للقرصان ، أنه يجهل أن طائرته

هي الوحيدة ، التي لم يتم تزويدها بعد بأجهزة الكشف

والتوجيه الحديثة .



قالتها ، وهو يضغط زراً صغيراً أمامه ، فأضيت  
شاشة متوسطة ، وظهر عليها ظل أحمر ، وحدد  
موقع طائرة (أدهم) ، وارتفاعها ، واتجاهها ، و...

وتألفت عينا الروسي ، وهو يقول :

- سيوسفنى كثيرا أن أسقط طائرة جميلة كهذه ،  
ولكن خذها منى أيها اللسارق .

وضغط زراً آخر ، فاطلق أحد صاروخي الطائرة ،  
نحو طائرة (أدهم) ..

مباشرة ..

\* \* \*

بهنوء عجيب ، رفع (أسعد) ، مدير مكتب للمخابرات  
المصرية في (موسكو) عينيه يتطلع إلى (سيرجي  
كوروبوف) ، الذى دلف إلى زنتاقته ، قبل أن يبتسم ،  
في مزيج من السخرية والإرهاق ، قائلا :

- ماذا حدث ؟! هل عجز الجنرال (كواليسكى) عن  
مواصلة إهانتى ، فأسندوا الأمر إليك يا كولونيل .

رقمه (سيرجي) بنظرة باردة ، وتجاهل سؤاله  
الساخر تماما ، وهو يجلس على طرف الفراش الصغير  
الوحيد بالحجرة ، قائلا :

- (أدهم) يقاتل هذه المرة كالوحوش .

كان من التقليدى أن ينفى (أسعد) الأمر ، بل وأن  
ينكر حتى معرفته بـ (أدهم) ، إلا أنه ، وعلى العكس  
من هذا ، أجاب فى حزم :

- من أجلكم .

والمدهش أيضا أن (سيرجي) قد وافقه بإيماءة  
من رأسه ، قائلا :

- هذا صحيح .

وصمت لحظة ، وسط دهشة (أسعد) ، قبل أن  
يضيف فى صرامة :

- ولكنهم يجهلون هذا .

التقى حاجبا (أسعد) ، وهو يسأله فى حذر :

- هل تدركه أنت ؟!

صمت (سيرجى) طويلاً هذه المرة ، وكأنما يستشير عقله حول الجواب المناسب ، قبل أن يتجاهل الأمر برمته ، ويقول :

- لقد تجاوز الحدود كلها هذه المرة .

خفق قلب (أسعد) مع العبارة ، وهو يتساءل بمنتهى الحذر :

- ماذا فعل ؟!

تراجع (سيرجى) ، وهو يقول فى بضع :

- لقد اختطف مقاتلة حربية .

اتسعت عينا (أسعد) ، وهو يهتف فى ذهول :

- اختطف ماذا ؟!

مطّ (سيرجى) شفطيه ، وكأنما يشعر بعدم الحاجة لإجابة للتساؤل الذاهل ، واكتفى بالتلويح بيده ، فقغم (أسعد) ، والذهول لم يفارقه بعد :

- وكيف يمكن أن يفعل هذا ؟! أين نظم الأمن والحراسة ؟!

هزّ (سيرجى) رأسه ، قائلاً :

- هذا لن يوقف (أدهم) .

ثم نهض من مكانه ، وبدأ وكأنما يقاوم غضباً مكبوتاً فى أعماقه ، قبل أن يتابع :

- وهناك الفساد أيضاً .

ردّد (أسعد) فى حذر :

- القماد ؟!

أجابه (سيرجى) ، وقد بدا شاردًا ، على غير المألوف :

- نعم .. الفساد .. الفساد الذى استشرى فى مجتمعنا ، حتى تسلّل إلى كل شيء وكل مكان ، فمشكلة الفساد الرئيسية هى أنه يتحوّل مع إهماله إلى تنين هائل ، لا يعود باستطاعتك التصدّى له ، أو حتى مواجهته .. تنين يلتهم كل إنجازاتك ومنجزاتك بلا رحمة .

ثم استلّ إلى (أسعد) ، مستطردًا فى صرامة بلا حدود :

- لذا فمن واجب كل رجل شريف أن يتصدّى له ،

وبمنتهى العنف والقوة والحزم .



غمغم (أسعد) ، وقد بهرته تلك الانفعالات ، التي  
تموج بها كلمات (سيرجى) :

- بكل تأكيد .

واعتدل ، وهو يعقد حاجبيه ، مضيقاً في حزم :  
- وبأسلوب شريف أيضاً .

تطلع إليه (سيرجى) ، مكرراً تعليقه السابق :  
- بكل تأكيد .

قالها ، ثم دس يده في جيبه ، وأخرج منه جواز سفر  
(أسعد) الديبلوماسى ، وناوله إياه ، قائلاً فى حسم :

- هيا بنا .. سنخرج من هذا المكان ، الذى لا يلىق بزميل .  
التقط (أسعد) جواز سفره فى حذر ، وهو يقول :

- وماذا عن (أدهم) ؟

صمت (سيرجى) بعض الوقت ، قبل أن يجيب فى  
حزم صارم :

- سنبتذل قصارى جهننا .

لم يكذب ينطقها ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ،

فالتقطه من جيبه فى سرعة ، وقال فى برود صارم :

- ماذا هناك ؟!

والتعدّد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يستمع إلى  
محتئه ، قبل أن يقول فى صرامة ، تمتزج بلحمة  
عصبية ، يندر أن تتسلل إلى نبراتة :

- سأتابع هذا الموقف بنفسى .. أريد معرفة للتفاصيل  
لأولاً فأولاً .. كل التفاصيل ، مهما بدت بسيطة ، أو حتى  
تافهة .. هل تفهم ؟!

لم يكذب يتهى المحادثة ، حتى هتف به (أسعد) ، بكل  
لهفة وتوتر الدنيا :

- ماذا حدث ؟!

أدار (سيرجى) إليه عينين ملتهبتين ، وهو يجيبه  
بكلمة واحدة :

- كارثة .

وهوى قلب (أسعد) بين فئديه ..

بمنتهى العنف .

\* \* \*

## ٤- الانفجار ..

فجأة ، انفلت المدفع الآلى من ركن فتحة السقف ، فى صومعة الغلال ، على مشارف (لينجراد) ، ووجه (شريف) نفسه يسقط ، مع آخر أمل فى النجاة من ذلك الموقف الرهيب ..

وبسرعة عقل اعتاد التفاعل مع أنظمة الكمبيوتر ، أرك (شريف) طبيعة الموقف وخطورة الفشل ..

وبحركة آلية غريزية ، دفع جسده إلى الأمام ، وهو يطلق شهقة عنيفة ، كانت تتحول إلى صرخة قوية ، من شدة ذعره وارتباعه ، وخوفه من السقوط ، بعد أن بلغ هذه المرحلة ، التى جعلته قاب قوسين أو أدنى من النجاة ..

لثوان ، خيّل إليه أن جسده سيسقط أرضاً ، وأن الفتحة ستبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

ولكنه ، وبدلاً من هذا ، رآها تقترب ، كما لو أن يداً عملاقة قد دفقته إلى أعلى ، فى محاولة أخيرة يائسة ..

ثم لامست أصابعه طرف الفتحة ..

واتقبضت دفعة واحدة ..

وتعلق بإطارها ..

وبكل قوته ..

اتسعت عيون (منى) و(ريهام) ، وهما تحديقان فى (شريف) ، الذى تعلق بإطار الفتحة بيد واحدة ، وهتف ، وهو يلهث فى قوة :

- يا إلهى ! يا إلهى ! يا إلهى !

هتفت (ريهام) :

- يدك الأخرى يا (شريف) .. لقد فطعتها .. انقع جسدك وستبلغ الفتحة .. هيا ..



كان (شريف) يلهث في عنق ، وهو معلق في هذا  
الوضع ، ولكن هتاف (ريهام) جعله يستنفر ما تبقى  
من قواه ، ويدفع جسده إلى أعلى ، حتى أمسك الإطار  
بيده الأخرى ، فصاحت (منى) :

- هيا يا (شريف) .. هيا .. أنت أملتنا الوحيد ، بعد  
الله (سبحانه وتعالى) .. هيا ..

كل ذرة في كياته كانت ترتجف ، توترًا وإرهاقًا ،  
ولكن ما قالتها (منى) جعله يدفع جسده أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

« هيا يا (شريف) .. » ..

كل عضلة في جسده راحت ترتجف ، وعيناه التهبنا  
بالعرق الغزير الذي يتصبب على جسده كله ، وأنفاسه  
تلاحقت ، وتسارعت ..

« افعلها يا بطل .. دفعة أخيرة .. هيا .. » ..

والتقط (شريف) نفسًا عميقًا ، ثم دفع جسده تلك  
الدفعة الأخيرة ، ووثب إلى القمة ..



التسعت عيون (منى) و (ريهام) ، وهما تحدقان في (شريف) ، الذي  
تعلق بالإطار الفتحية بيد واحدة ..

و هناك ، لقي جسده أرضاً ، وراح ينهث في عنف ،  
غير مصدق أنه قد فعلها .. أما داخل الصومعة ، فقد  
غمغت ( منى ) وهي تطلق من أعماق أعماق صدرها  
تنهيدة ملتببة ، حملت كل ما جاش به صدرها من  
انفعالات :

- حمداً لله .

وبفرحة تمتزج بشيء من الزهو والتقدير ، هتفت  
( ربهام ) :

- لقد فعلها .. لقد فعلها .

هتف بها الدكتور ( أحمد صبرى ) من خلفها :

- أسرعوا بالله عليكم .. لست أدرى إلى أى عمق  
وصلت الرصاصة ، فى صدر ( قدرى ) ، وكل ثانية  
لها ثمنها .

أعدت إليهما كلماته توترهما ، فهتفت ( منى ) :

- ( شريف ) .. أنت بخير ؟!

لهث ، وهو يعدل ، قائلاً :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

هتفت به :

- لبحث عندك عن أية وسيلة ، لإخراجنا من هنا .

تلقت حوله فى لهفة ، قبل أن يقول فى انفعال :

- يوجد جبل كبير هنا ، ولكننى لا أجد ما يمكننى  
تثبيتته فيه .

صاحت ( ربهام ) :

- ابحث عن أى شيء بالله عليك .. أى شيء .

راح يبحث فى لهفة ، ولكن المكان بدا خالياً ، إلا من  
جتى الحارسين الصريعين ، ومنفيعهما الآبين ، ولم يكن  
هناك أى بروز فى الجدران أو الأرضية ، يمكن تثبيت  
أى جبل فيه ، فعاد إلى الفتحة ، قائلاً فى توتر بالغ :

- لا يوجد سوى منفعين آبين .. هل يمكننا أن نستعملهما  
معاً ، كدعامة للصعود ، كما فعلنا مع المدفع الأول ؟!



هتف الدكتور ( أحمد ) فى حدة :

- ربما يصلح هذا للبعض ، ولكنه لن يصلح حتماً لإخراج السيد ( قدرى ) من هنا .. إننى لست أدرى حتى كيف أدخلوه إلى هنا ، فهذا يحتاج إلى ونش صغير .

اتعقد حاجبا ( منى ) ، وهى تقول :

- فليكن .. افعل ما اقترحت يا ( شريف ) ، وستصعد إليك ، ( ريهام ) وأنا .. ثلاثة أفضل من واحد بالتاكيد ؛ لإيجاد حل لهذه الأزمة .

هتف الدكتور ( أحمد ) :

- أسرعى بالله عليك يا ( منى ) .. إننى أكاد أموت رجياً ، من احتمال أن نفقد ( قدرى ) .

ازداد تعقاد حاجبها ، وهى تقول فى شىء من العصبية ، مع كثير من الحزم :

- لن نفقده بإذن الله .

أسرع ( شريف ) يلتقط المدفعين الآليين ، وربطهما ببعضهما فى إحكام ، وعلى نحو معكوس ، بحيث التصقت ماسورة كل منهما بكعب الآخر ، ثم وضعهما عند ركن الفتحة ، وثبتهما جيداً ، قبل أن يلقى الطرف الآخر للحبل داخل الصومعة ، قائلاً فى توتر :

- هيا .. أسرعاً .

لم تكد الكلمة تتجاوز شفتيه ، حتى ارتفعت طرقات قوية مباغثة على باب المكان ، مع صوت خشن ، يهتف فى توتر :

- ( زيون ) .. أين أنت ؟ لماذا لا يعمل هاتفك ؟  
الزعيم حاول الاتصال بك أكثر من مرة .

ارتجفت كل ذرة فى كيان ( شريف ) ، وهباً واقفاً ، وهو يتطلع إلى الباب فى قلق ، فى حين واصل صاحب الصوت الخشن فى حدة :

- إنه غاضب بشدة ، ويريد التحدث إليك فوراً ..  
أين أنت يا ( زيون ) .. لماذا لا تجيب يا رجل ؟

استدار ( شريف ) إلى الفتحة ، وهتف بـ ( منى ) ،  
التي تعفقت بالحبيل :

- هيا .. أسرعا .. أسرعا ..

ولكن صاحب الصوت صاح فى عصبية بالغة :

- ماذا حدث بالداخل؟! كلاً .. لن انتظر أكثر .

امتزجت كدماته بدوى رصاصات مدفعه الآلى ،  
التي نسفت رتاج الباب ، قبل لحظة من اقتحامه له  
بمنتهى العنف ، فتراجع ( شريف ) فى سرعة ،  
وهو يرفع ذراعيه لحماية وجهه وجسده ، وسمع  
الروسى يصرخ ، فى مزيج عصبى من الدهشة  
والغضب والاستنكار :

- ماذا حدث هنا؟!!

خفض ( شريف ) ذراعيه ، وتحرك حركة متوترة ، دون  
هدف محدود ، فارتفعت فوهة منفع الرجل نحوه بحركة  
غريزية ، وارتسم على وجهه مقت وحشى ، وهو يهتف :

- أيها الـ ..

ودون حتى أن يكمل عبارته ، ضغط زناد مدفعه ..  
واقسعت عينا ( شريف ) عن آخرهما ، عندما انطلقت  
الرصاصات كالمطر ..

أو كالدّم ..

\* \* \*

منذ بدء عملها معه ، وعلاقتها به ، لم تر ( زوشا )  
( يورى ) أكثر توتراً من تلك اللحظات ، وهو يدور فى  
قبو بناية كبيرة عتيقة ، تطل على الميدان الأحمر الشهير  
فى ( موسكو ) ، وينفث دخان سيجارته كقطار قديم ، يكاد  
مخزونه من الفحم ينفد بعد كيلومترات قليلة ..

كان من الواضح أن هناك أمراً يشغله ويقلقه بشدة ،  
على نحو يفوق كل المرات الأخرى ..

أمر يحتاج إلى اتخاذ قرار حازم وحاسم ..

وفورى ..

هذا لأنه لم ينبس بحرف واحد ، طوال اثنتى عشرة  
دقيقة كاملة ، قضاها على هذا النحو ..



ولأنها تعرف طبيعته المتقلبة جيداً ، وتخشى ربود فعله العنيفة دوماً ، فقد لاذت ( زوشا ) بدورها بالصمت ، واكتفت بمتابعته في حذر هَلَقٍ ، حتى توقفت بفتة ، وألقى سيجارته بعيداً في حدة ، وهو يقول :

- أين الخراطط !!؟

نطقها بشراسة شديدة ، جعلتها تسرع بالتقاط مجموعة الخراطط ، وتفتنمها إليه ، فالتقطت واحدة منها . وهو يقول في مقت :  
- ( مصر ) فقط .

تتحنحت ( زوشا ) ، عندما فرد الخريطة أمامه ، واتعدت حاجباه في شدة ، وهو يحرك سبابته عندها في سرعة واهتمام ، ثم استجمعت شجاعته ، وسأته في حذر ، وبصوت خافت ، وكنها تخشى أن يسمعها :

- ماذا يدور في ذهنك بالضبط !!؟

قال في شراسة :

- أجرى اتصالك بـ ( شلينكو ) ، عبر هاتفه للخاص ،

وأخبريه أن الهدف قد تغير ، وعليه أن ينتقل فوراً إلى الهدف الجديد .

قالت في قلق شديد :

- الانتقال بالغ الخطورة الآن يا ( يورى ) .. من المؤكد أن أجهزة الأمن ، في كل الدول قد ..

قاطعها في وحشية ثائرة :

- هل سمعت ما قلت !!؟

تراجعت في خوف ، وغمغمت في توتر :

- بالتأكيد .

ثم التقطت هاتفها ، المتصل بالأقمار الصناعية مباشرة ، وهي تسأله :

- وما الهدف الجديد !!؟

تألفت عيناه ، على نحو جعله أشبه بوحش مقترس ، وهو يجيب :

- ( القاهرة ) .

ارتفع حاجبها بدهشة بالغة ، وهتفت مستكبرة :

- العاصمة نفسها !؟

استدار إليها ، صائحًا :

- هل من اعتراض !؟

زفرت ، قائلة :

- كلاً أيها الزعيم .. إنها خطتك ، وهذا شأنك .

بدأت تضرب أزرار الهاتف بأصابعها فى عصبية ،  
وهى تتابع :

- وماذا لو استوقفه رجال الأمن هناك !؟

أجابها فى شراسة :

- هو يعلم ماذا سيفعل عندئذ .

راحت تواصل ضرب أزرار الهاتف ، فى نفس اللحظة  
التي ارتفع فيها زئير هاتفه هو ، فالتقطه فى سرعة ،  
قائلًا فى عصبية :

- من هناك !؟

فوجئت بحاجبيه يرتفعان حتى قمة رأسه ، ثم يهويان  
منعقدين ، وهو يصرخ :

- ماذا !؟ مقاتلة حربية !؟ وأين كنتم أنتم يا جنرال  
القرود !؟ أين كان أمنكم وحراسكم !؟ أنتم أغبي قوم  
رأيتم فى حياتي يا (كواليسكى) .. أنتم تستحقون بالفعل  
انتقالكم المهين ، من قائمة القوى العظمى ، إلى خاة  
المعوزين .

أنهى الاتصال فى حدة ، واحتقن وجهه بشدة ، فسأته  
(زوشا) بقلق عارم :

- ماذا حدث !؟

حدث فى وجهها لحظة ، وكأنما غاب عقله مع  
ماسمعه ، قبل أن يندفع قائلًا فجأة ، فى عصبية بالغة :

- (أدهم صبرى) سرق مقاتلة حربية ، وينطلق بها  
نحو (لينجراد) ..

انتقل ذهوله إليها ، وهى تهتف :

- مستحيل ! وكيف فعل هذا !؟



لم يبد حتى أنه قد سمع تعليقها ، وهو يشعل  
سيجارتته بمنتهى العصبية ، قائلاً فى حدة :

- كيف يمكن أن أعمل ، فى وجود هؤلاء الحمقى؟!  
إهمالهم وفسادهم يمنحه فى كل دقيقة فرصة إضافية  
للتفوق .

كانت تخبره أنهم المسئولون عن تفشى الفساد  
والإهمال ، إلا أن عقلها أرشدها ، فى اللحظة المناسبة ،  
إلى أن الظروف لا تحتل التعليق بحرف واحد ، فغمغت :  
- قلت إن رجالنا فى انتظاره هناك .

لوح بذراعه ، ونفث دخان سيجارته فى غضب ،  
هاتفا :

- لقد اختصر الوقت بشدة ، وهذا يفسد كل شيء .  
زدرت لعابها ، فى محاولة لتهدئة أعصابها المتوترة ،  
قبل أن تقول ، محاولة تخفيف عصبية :  
- اختطاف مقاتلة حربية ليس بالأمر السهل

أو الهين ، فى أى زمان ومكان ، ومن المؤكد أن  
المقاتلات الحربية ستطلق خلفه بلا هوادة .

هز رأسه فى قوة ، قائلاً :  
- لن يوقفه هذا .

هتفت فى حدة :  
- إنه ليس أسطورة .

اشتعلت عيناه بلهب مخيف ، وهو يرمقها بنظرة  
غضب شرسة ، قبل أن يقول فى حدة :  
- هل نفذت ما أمرتك به؟! .

حان دورها ليحتقن وجهها ، وهى تقول :  
- سأبلغ أوامرك لـ ( شلينكو ) فوراً .

وبينما تنقل أوامره لعمليهم فى ( مصر ) ضغط  
هو أضرار هاتفه فى توتر ، قائلاً :  
- لا بد أن يجد ذلك المصرى فى انتظاره مفاجأة ..  
ومهما فعل .

وضع الهاتف على أذنه ، ولم يكذب يسمع صوت  
محدثه ، حتى قال بكل صرامة وشراسة الدنيا :

- أنا الزعيم .. لا يهتم لمن أتحدث الآن .. ابحثوا  
عن ذلك الوغد ( زيون ) فيما بعد ، أما الآن ، فاستمع  
إلى جيداً ، واعمل على تنفيذ أوامري فوراً .

أنهت ( زوشا ) اتصالها ، وتطلعت إليه في قلق متسلل ،  
وهو يتابع ، بنفس الصرامة والشراسة والحزم :

- هؤلاء المصريون ، الذين تحتجزونهم في الصومعة .  
وصمت لحظة ، اشتعلت خلالها عيناها بنيران الجحيم ،  
وهو يضيف :

- اقتلوهم جميعاً .. فوراً .

وسقط الهاتف من يد ( زوشا ) ..

فقد كانت مفاجأة حقيقية ..

ومذهلة ..

\* \* \*

لم يفهم ذلك الطيار الروسي أبداً ، كيف أترك (أدهم)  
أن صاروخه ينطلق نحوه !!

ففى نفس اللحظة ، التي لتطلق فيها الصاروخ ، انخفض  
(أدهم) بطائرته فجأة ، وتركها تهوى دون سيطرة ،  
ف تجاوزها الصاروخ ، وواصل طريقه مبتعداً ، فى حين  
استعاد (أدهم) سيطرته على الطائرة مرة أخرى ،  
وارتفع بها بقعة ، بزواية شبيه رأسية ، جعلت للروسى  
يقعغم فى عصبية :

- رياه ! كيف فعل هذا ؟!

قلتها ، وارتفع بطائرته بدوره ، خلف طائرة (أدهم) ،  
ولكن هذا الأخير التحى فجأة على نحو شديد لصعوبة ،  
بحيث صنعت طائرته قوساً مقنوناً خلفياً ، جعلها تعود  
إلى الخلف بسرعتها المدهشة ، حتى إن الطيار الروسى  
لم يستطع تعديل مساره فى الوقت المناسب ، فعبرت  
طائرة (أدهم) فوقه ، وهى تنطلق فى وضع مقنوب رأساً  
على عقب ، بحيث كان بإمكان الروسى رؤية خصمه ،  
داخل كابينة قيادة طائرته ، قبل أن يتجاوزه ، ثم ينخفض  
بطائرته مرة أخرى فى سرعة مدهشة ، تحتاج إلى  
مهارة عالية ، و ...



وقيل أن يستوعب الروسي الأمر ، كان (أدهم) خلفه  
تماماً بطائرته ..

وفي عالم المناورات القتالية الجوية ، يكون للطائرة  
الخلفية أكثر من سبعين في المائة من السيطرة على  
الموقف ..

ولأن الطيار الروسي يدرك هذا ، فقد استنفر كل  
براعته وخبرته وقدراته ، ليفلت من هذا الموقف  
الدقيق ..

ولكن هيهات ..

صحيح أنه واحد من أفضل قائدي هذا الطراز من  
الطائرات ، في (روسيا) كلها ، ولكن خصمه لم يكن  
رجلاً عادياً ..

إنه رجل من طراز خاص جداً ..

رجل المستحيل ..

وفي كل لحظة ، كان الروسي يتوقع أن ينطلق من  
طائرة خصمه صاروخاً ، ينسف طائرته هو نفساً ..

ولكن العجيب أن هذا لم يحدث ..

لقد واصل (أدهم) مطارته ، والسيطرة على الموقف  
لدقيقة كاملة ، قبل أن يضغط زناد مدفع طائرته ، مغضاً :  
- معذرة يا رجل ، ولكن ليس لدى ما يكفي من  
الوقت لمناورة متقنة طويلة .

ومع قوله ، انطلقت رصاصات مدفع طائرته ..

وأصاب الجناح الأيسر لطائرة الروسي ..

وارتفع عمود من النخان من طقرة الروسي ، الذي  
اضطر للاخفاض بها ، تاركاً طائرة (أدهم) خلفه ،  
وهي تستعيد سرعتها واتجاهها ، نحو (ليننجراد) ،  
التي أصبحت قريبة للغاية ..

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكي ، هدف الروسي :

- القرصان يواصل طريقه نحو (ليننجراد) .. لقد  
أجبرني على الخروج من السباق .

وانعقد حاجباه في توتر بالغ ، وهو يضيف ، وطائرته  
تواصل تخفاضها :

- لست أفهم ما فعله .. لست أفهم أبداً .. لقد كان  
يمسّط على الموقف تماماً ، وكان بإمكانه نسف  
طائرتي بضغطة زر واحدة ، ولكنه ، وبدلاً من هذا ،  
اكتفى بإصابة دقيقة مذهشة ، تجبرني على  
الانسحاب من المعركة فحسب .

وهز رأسه في قوة مكرراً :

- لن يمكنني أن أفهم هذا أبداً .

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كانت طائرة  
(أدهم) تخرق حاجز الصوت\* ؛ لتواصل انطلاقها  
نحو (لينجراد) ..

كان يقاوم : نيبينغ صوامع (جباروف) ، في الوقت  
المناسب ، قيل أن يتعرّض رفاقه للخطر ..

(\*) المقصود بالعبارة تجاوز سرعة الصوت . لتسي تساوي  
(340 م / ث) . وفي عالم الطيران تعتبر سرعة الصوت وحدة .  
يطلق عليها ( ماخ ) ، ومن القواهر التي تصاحب اختراع حاجز  
الصوت ، حدوث فرقة عتية مكتومة .

(يوري) سيدرك مغزى ما حدث حتماً .

وسيفضبه هذا ..

إلى أقصى حد ..

وهذا يضع الموقف كله أمام احتمالين ، لا ثالث  
لهما ..

إما أن يحاول نقل رفاقه بأقصى سرعة ، إلى مكان  
آخر ..

أو يسعى للتخلّص منه ..

وهو لن يحتمل هذه النتيجة الأخيرة ..

أبداً ..

لذا ، فعليه أن يسرع ..

ويسرع ..

ويسرع ..

كان يقترب أكثر وأكثر من (لينجراد) ، بحيث لم



بعد يفصله عنها سوى دقائق معدودة ، عندما رصنته  
وسائل الدفاع الجوي الروسية ، التي تم إبلاغها  
بأمره ، فهتف ضابط الرادار في حزم :

- لقد ظهر .

التقى حاجبا رئيسه ، وعقد كفيه خلف ظهره ،  
وهو يلتقط جهاز الاتصال اللاسلكي ، قائلاً :

- الهدف ظهر على شاشة الرادار .. نحن في انتظار  
الأوامر .. هل نمنح مقاتلاتنا الحديثة فرصة مطاردته ،  
والسيطرة عليه ، وإجباره على الهبوط ، أم ..

فجئ بمحدثه يقاطعه في عصبية ، قائلاً :

- خطأ يا رجل .. خطأ .. هنا الجنرال (كوليسكي) ..

من المخابرات الروسية .. خصمنا رجل شديد المهارة  
والغداد ، وأية قوة في الأرض لن تجبره على الاستسلام ..  
استخدم صواريخ الدفاع الجوي فوراً يا رجل .. هيا .

التقى حاجبا قائد وحدة الدفاع الجوي في (ليننجراد) ،  
وهو يقول في توتر :

- ولكن هذا يجعلنا نخسر الطائرة حتماً .. الأفضل  
أن ..

قاطعته (كوليسكي) بصيحة هادرة :

- الصواريخ يا رجل .

ازداد انعقاد حاجبي قائد الوحدة ، وهو يتمتم :

- كما تأمر يا جنرال .

ثم التفت إلى الضابط ، وهو ينهى الاتصال ، قائلاً  
بلهجة أمرية :

- أطلق الصاروخ .

وضع الضابط طائرة (أدهم) في إحداثيات الهدف  
إلكترونيًا ، ثم ضغط زر الإطلاق ..

وقطلق صاروخ الدفاع الجوي خلف طائرة (أدهم) ،  
وشق طريقه نحوها بسرعة بالغة ..

وهنا لم يكن لبراعة (أدهم) وقدراته أدنى تأثير ؛  
إذ إن هذا النوع من الصواريخ يطارد الهدف  
إلكترونيًا ، مهما حاور أو ناور ، أو زاد من سرعته ..

ولقد تابع الضابط وقائده حركة الصاروخ ، وهو  
يقترّب من الطائرة ..

ويقترّب ..

ويقترّب ..

وقامت الطائرة بمناوراة بارعة ، فى محاولة  
لتفادى الصاروخ ..

بل مناوراة مذهشة ..

وإلى أقصى حد ..

والتقى حاجبا الضابط فى شدة ، وهو يتابع شائسة  
الرادار ، وراح رئيسه ينقر بأصابعه على الجدار فى  
عصبية ، والصاروخ يطارد الطائرة فى إصرار عنيف ..

كانت أول مرة يريان فيها مناوراة مذهلة إلى هذا  
الحد ، بين طائرة قديمة ، و صاروخ إلكترونى حديث ،  
يتم توجيهه بالليزر ..

ولكن المناورة والعطاردة انتهيا بغتة ..

ودفعة واحدة ..

فقد لحق الصاروخ بالطائرة ، عند منحنى مزدوج  
بينهما ، وارتطم بها ، و ...

ودوى الانفجار الهائل ..

فى سماء ( ليننجراد ) .

\* \* \*





## ٥- الضربة ..

أشار رجل المخابرات المصري إلى خريطة كبيرة ،  
تكسو جداراً كاملاً ، من جدران حجرة الاجتماعات  
الصغيرة ، في مبنى الأمن القومي ، وهو يقول في حزم :  
- هدفنا يدعى ( شلينكو ) .. ( مالمين شلينكو ) ..  
جاسوس سابق عمل لحساب المخابرات السوفيتية ، في  
الفترة من ١٩٧٦م وحتى أوائل ١٩٩٠م ، وأنهى  
السوفيت خدمته ، بسبب تورطه مع عصابات تهريب  
المخدرات ، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، بدأ يعمل مع  
عصابة لترويج المخدرات ، على نحو صريح ، ثم انضم ،  
منذ عام ١٩٩٤م إلى ( المافيا ) الروسية ، وانقطعت  
أخباره منذ عامين ، وبعد أن بلغ منزلة كبيرة فيها .  
ثم استدار إلى الفريق المحدود ، الذي يستمع إليه ،  
والذي يتكوّن من ثلاثة من قيادات الشرطة ، واثنين  
من رجال المخابرات ؛ ليتابع :

- هذا الرجل عبر حدودنا سرّاً ، بوسيلة ما ، وكمن  
هنا ، حتى وصلت شحنة أسطوانات غاز الأعصاب ،  
التي استأجر ( جريكو ) لتهريبها ، ثم قتل هذا الأخير ،  
واستولى على الشحنة ، واختلف بها في مكان ما هنا .  
أجابه أحد قيادات الشرطة في حسم :

- لقد وزعنا صورته ، التي رسمتها ، بناء على  
ما أنلى به ( ثروت ) من أوصاف ، على كل رجالنا ،  
بطول و عرض ( مصر ) ، والكل يبحث عنه في كل  
مكان .  
هزّ رجل المخابرات رأسه ، قائلاً :

- لسنا نعتقد أنه سيحتفظ بهيئته ، التي وزعنا  
أوصافها ، فالرجل خبير في التكر ، بسبب عمله طويلاً  
في مجال الجاسوسية ، وهو أيضاً شديد الحذر ، وما دام  
يعلم أنه هنا من رآه مع ( جريكو ) ، ومن يمكنه نقل  
أوصافه للآخرين ، فسينتحل هيئة أخرى حتماً ، وربما  
يحمل هوية زائفة أيضاً ، لذا فالأمر أصعب مما نتصور .

قال آخر من قيادات الشرطة في تونس :

- ولكننا لا نستطيع مراقبة ومتابعة كل الأجانب في  
(مصر) .

أشار رجل المخابرات بسبائته . قاتلاً :

- علينا أن نجد وسيلة أخرى إذن .

تساءل قائد الشرطة لتثالث :

- مثل ماذا ؟!

أجابته أحد رجلى المخابرات الآخرين :

- ربما لو ربطنا بين الرجل وأسطوانات الغاز ،  
لأمكننا اختصار الوقت أكثر .

تساءل أحدهم :

- ألم نعمل منذ البداية ؟!

اعتدل الرجل ، وقال :

- ليس هذا ما قصدته ، وإنما كنت أعنى أننا لا نبحث

عن شخص بسيط . أو عن سلاح ضمن فوج سياحي ،  
يقم في أحد الفنادق أو الشقق التي يتم تلجيرها للأجانب ،  
وإنما نبحث عن رجل يختفي مع شحنة من أسطوانات  
غاز بلغة الخطورة ، عليه أن يحرص عليها أشد الحرص ،  
وأن يسعى لتجويرها ، عندما يتلقى الأمر بهذا ، و ...

« الأمر !! » ..

هتف رجل المخابرات الرئيسي بالكلمة ، في لهفة  
واضحة ، فاستدارت إليه كل العيون في دهشة متوترة  
متسائلة ، وهو يتابع في حماسة :

- ربما كانت هذه هي الوسيلة المثلى للتوصل إليه .

تساءل أحد قيادات الشرطة في حذر :

- ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابته بنفس الحماسة :

- خصمنا ليس قائداً ، وإنما هو تابع ، لا بد أن  
يتلقى الأوامر من رؤسائه ، لتحديد خطواته وتحركاته ،  
ومن المؤكد أنه يستخدم واحداً من الهواتف المحمولة ،  
التي ترتبط بالأقمار الصناعية مباشرة .



ثم اعتدل ، وتألقت عيناه ، وهو يضيف في حزم :  
- وهنا يأتي دور قسم الاعتراض<sup>(\*)</sup> .

تبادل رجال الشرطة نظرة قلقة ، حولها أحدهم  
إلى تساؤل ( مسموع ) ، وهو يقول في توتر :

- وهل يمكن لأجهزة الاعتراض لديكم ، التقاط  
وتحديد اتصال رقمي ، يتم عبر الأقمار الصناعية ؟!  
أجابه رجل المخابرات في حزم :

- الوسائل التي أضيفت إليه حديثًا ، تمنحه قدرة  
معقولة ، في هذا الشأن ، وربما أمكنها حصر البحث  
في نطاق محدود للغاية .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك :

- فور إرسال الهدف أو استقباله ، لأي اتصال ،  
عبر الأقمار الصناعية .

(\*) قسم الاعتراض : هو قسم خاص ، في جهاز المخابرات العامة ،  
مهمته - وفقًا لاسمه - هي اعتراض كل إشارات البث اللاسلكية ، التي  
تصدر أو تأتي من وإلى ( مصر ) ولقد أضيفت إليه مؤخرًا وسائل أكثر  
تطورًا ، تجعله قادرًا على اعتراض الرسائل الرقمية أيضًا .

تبادل الجميع نظرة أخرى ، قبل أن يتساءل أحد  
رجلى المخابرات ، في قلق شديد :

- وملاؤ لو أن هذا الاتصال كان إشارة لتفجير بلطف؟!!

تعتقد حاجبا رجل المخابرات الرئيسي ، دون أن ينبس  
ببنت شفة ، أو يجيب ذلك التساؤل بحرف واحد ..

فلاحتمال كان مخيفًا .

مخيفًا للغاية ..

\* \* \*

التقى حاجبا (يوري ليفانوفيتش) بشدة ، وهو يستمع  
إلى الجنرال (كواليسكي) ، عبر هاتفه المحمول ،  
قبل أن يقول في صرامة ، حاول أن يخفي بها ذلك  
الانفعال الجارف في أعماقه :

- آنت واثق مما تقول هذه المرة يا (كواليسكي) ؟!

توقفت (زوشا) عن مزاوله رياضتها العنيفة ، واعتلت  
جالسة ، والعرق يغمر جسدها وعضلاتها المفتولة ،  
واستمعت في اهتمام قلق ، في حين كان (كواليسكي)  
يجيب في حماسة مزهو ، على الطرف الآخر :

١٢٣  
- تمام الثقة هذه المرة يا (يوري) .. لقد أطلقنا  
عليه أحد صواريخ الدفاع الجوي الحديثة ، الموجهة  
بالليزر ، وحاول تفاديه بالفعل ، ولكن الصاروخ  
أصاب طائرتة ، ونسفها في الجو نسفاً .

سأله (يوري) ، في صرامة أكثر :

- أنت واثق !؟

أجابه (كواليسكي) في انفعال :

- لقد تأكدت بنفسى . قبل اتصالى بك يا (يوري)  
لقد اتفقت معك حاجبى (يوري) ، وكأنا لا يصدق ما سمعه ،  
ومرت عليه لحظات من الصمت . جعلت (كواليسكى)  
يقول فى توتر :

- (يوري) .. أمازلت هناك !؟

أجابه (يوري) في صرامة :

- نعم .. أنا هنا يا (كواليسكى) ، واتساعل عن وسيلة  
تأكدك من خبر كهذا !



توقفت (زولنا) عن محاولة رياضتها العنيفة واعتكفت تجالسنة ، والعروق  
بغير جسدياً



قال (كواليسكى) فى سرعة :

- رجال الدفاع الجوى شاهدوا ما حدث فى وضوح ،  
على شاشات الرادار ، ومناورته للفرار من الصواريخ تعنى  
أنه ظل داخل الطائرة ، حتى اللحظة الأخيرة ، و ...

قاطععه (بورى) فى صرامة شرسية :

- وماذا عن التأكيد البصرى !؟

صمت (كواليسكى) لحظة ، وكنا لم يتوقع لسؤال ،  
ثم لم يثبت أن انقفع ، قائلاً فى انفعال :

- مع موقف كهذا ، لسنا فى احتياج إلى تأكيد  
بصرى يا (بورى) ، ولا حتى لـ ...

قاطععه (بورى) فى ثورة :

- خطأ يا (كواليسكى) .. خطأ أيها الغبى الأحمق .. مع  
رجل مثل (أدهم بصيرى) ، أنت بحاجة إلى كل تأكيد ممكن  
فى الوجود ، للتيقن من أنه قد لقى مصرعه .. هذا  
ما ينبغى أن تتعلمه من ملفه ، ومن تاريخ حياته الحافل .

قال (كواليسكى) فى عصبية ، وقد أحنقه الأسلوب  
الذى يتحدث به (بورى) إليه :

- نحن واثقون من مصرعه يا (بورى) .

صاح (بورى) :

- أما أنا فلا يا جنرال القروء .. احصل على تأكيد  
بصرى ، أو أذهب بمعلوماتك إلى الجحيم .

قالها ، وأنهى الاتصال فى عنف ، فسألته (زوشا)  
فى قلب حذر ، وهى تنهض وتلتقط منشفتها :

- لماذا لا تصدق مصرعه !؟

أجابها فى خشونة ، وهو يشغى سيجارته فى عصبية :

- ملفه يتحدث عن عملاقة سقطوا ؛ لمجرد أنهم  
افترضوا مصرعه ، دون أن يؤيدوا هذا بليل بصرى .

ثم نفث دخان سيجارته فى قوة ، وهو يلتفت إليها ،  
مستطرداً بخشونة أكثر :

- ولن أضمم إلى هذه القائمة أبداً .

جففت عرقها ، وهى تقول :

- كل البشر يموتون .

- ليس بمجرد الافتراض .

تطلعت إليه بضع لحظات ، وهو ينفث دخان سيجارته في عصبية شديدة ، قبل أن تستجمع شجاعته ، وتقول :

- هذا المصري له تأثير واضح عليك يا (يوري) .

استدار إليها بوجه غاضب محتقن ، وعينين تشتعلان كالذهب ، وهو يهتف :

- أي قول سخيف هذا ؟!

واصلت شجاعته ، وهي تجيبه :

- إنني لا أشاهدك عصبياً إلى هذا الحد ، إلا عندما يتعلق الأمر به .

ثم مالت إلى الأمام ، متابعة في حقوت :

- على الرغم من أنني قد تعلمت منك قاعدة تقول : إن من يفقد أعصابه أولاً ، يخسر معركته أخراً .

حدق في وجهها بضع لحظات ، وكأنه يراها لأول

مرة ، قبل أن يشيح بوجهه عنها وينقث دخان سيجارته في عمق وبطء بضع لحظات ، ثم يقول :

- ربما كنت على حق .. إنني أشغال عقلي به أكثر مما ينبغي . على الرغم من أن أمي مهمة أكثر خطورة .

وتألفت عيناه ، وهو يضيف :

- مهمته تتعلق بالسيطرة على العالم أجمع .

غرق مرة أخرى في صمت وتفكير عميقين ، التهم خلالهما سيجارتين كاملتين ، قبل أن يعدل ، ويقول في صرامة وحشية :

- أظنه قد حن الوقت ، تقدم للعالم دنياً جديداً على حزم وجدية نوايانا .

سألته في قلق وحذر :

- ألن تعلن مطالبك ؟!

تألفت عيناه أكثر ، وهو يجيب في نشاط وحيوية مباغتتين :



وفي توتر لامحدود ، أدرك للرجل فوهة مدفعه الآلى  
نحوها ، وهو يصرخ :

- أيتها ال ..

قبل أن يتم صرخته ، وثبت (منى) فى رشاقه ،  
وركلت أنفه ركلة قوية ، دفعتة إلى الخلف فى عنف ،  
وسياسته تضغط زناد مدفعه بحركة آلية ، لتنتقل  
رصاصاته ، وتدوى فى المكان فى عنف ..

وحاول المجرم أن يعتدل ، وأن يستعيد توازنه ،  
وسيطرته على الموقف ، إلا أن (منى) لكتمته فى  
أنفه الذى حطمته ركلتها بالفعل ، فتصاعدت إلى رأسه  
آلام رهيبية ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، فدارت (منى)  
حول نفسها ، وركلته ركلة أخرى فى فكه ، ارتطم إثرها  
بالجدار فى عنف ، ثم سقط على وجهه كالحجر ، فى نفس  
اللحظة التى وثبت فيها (ريهام) خرج الفتحة ، هاتفة :

- هل سيطرت على الموقف !!

أجابتها (منى) فى توتر ، وهى تلتقط المدفع الآلى  
فى سرعة :

- فيما بعد يا عزيزتى (زوشا) .. فيما بعد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة ، وهو يضيف :

- بعد هذه الضربة مباشرة .

قالها ، وتحولت ابتسامته بغنة إلى ضحكة ..

ضحكة عالية مجلجلة ، جعلته يبدو أشبه بوحش

دموى ..

وحش آدمى ..

مقترب ..

\* \* \*

امتقع وجه (شريف) ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وفوهة  
مدفع رجل (المغنيا) للروسى يرتفع فى وجهه ، وسياسته  
تضغط الزناد ، و ...

ولكن فجأة ، وقبل ثانية واحدة ، من ضغطه للزناد ،  
وثبت (منى) عبر تلك الفتحة ، التى تقود إلى صومعة  
الغلال ، وانقضت على الرجل كالعاصفة ..

- مؤقتًا .. فرصاته ستجذب رفاقه حتمًا ، ومن المؤكد أن بعضهم قد أدرك ما حدث ، عبر شاشات المراقبة .

هتفت ( ريهام ) :

- يا إلهي ! هذا يعنى أننا سنحتاج إلى كل قوتنا ، لمواجهة هذا الموقف .

انحنى ( شريف ) يلتقط المدفعين الآليين ، المعطقين عند ركن الفتحة ، وحلَّ عقدة الحبل المحيط بهما ، وهو يقول فى حزم :

- ولكل شخص أيضًا .

التفتت إليه ، وهو يلقي إليها أحد المدفعين الآليين ، ويمسك الثالثى فى قوة ، وقالت فى عصبية :

- أنت خبير كمبيوتر ، ولست مقاتلاً .

هز كتفيه ، قائلًا فى حزم أكثر :

- الضرورات تبيح المخطورات .

التفتت إليهما ( منى ) قائلة :

- حوار عظيم ، ولكن دعائى أتساءل : هل سنظل هنا ، فى انتظار رد فعل خصومنا !؟

استدار إليها ، وسألها ( ريهام ) :

- ماذا تقترحين !؟

أجابتها ( منى ) فى حزم :

- أن نتبع سياسة ( أدهم ) ، فى هذا الموقف أيضًا .

هتف ( شريف ) :

- الهجوم خير وسيلة للدفاع .. أليس كذلك !؟

أشارت ( منى ) بمدفعها الآلى ، قائلة :

- بالضبط .

ثم أضافت فى حزم :

- لابد أن نتحرك فى سرعة ، لنربح عامل المفاجأة ، ومزية المبادرة ، ولننخر كل ثانية يمكن أن نربحها ؛ حتى يمكننا أن نوفر لـ ( قدرى ) كل ما ..



قاطعتها (ريهام) في صوت يحمل قدرًا من التوتر  
والانفعال ، وهي تتطلع عبر فرجة الباب :

- لا داعي لكل هذا ، لقد بدعوا الهجوم بالفعل .

استدار ( شريف ) و ( منى ) في سرعة إلى حيث  
تنظر ، وسرت فيهما معًا موجة عنيقة من التوتر ..

فهنالك ، ومن نهاية العمر ، الذي يقود إلى حيث  
يقفون ، كان فريق من رجال ( المافيا ) الروسية  
ينقض ، بكل وحشيته وشراسته ..

وأسلحته المتطورة ..

وبدا من الواضح أن المعركة قد بدأت ..

وأنهم مضطرون للقتال فوراً ..

وحتى الموت ..

\* \* \*

« ( أدهم ) لقي مصرعه !؟ »

هتف ( أسعد ) بالعجالة في ارتياح ، وهو يحنق في  
وجه ( سيرجي ) ، الذي بدأ صارمًا باردًا كعادته ،  
وهو ينطق بسيلرته ، نحو القيادة العليا للدفاع للجوى  
الروسي ، فقال هذا الأخير في حزم :

- الخبر لم يتأكد بعد .

هتف ( أسعد ) في مرارة :

- لم يتأكد !؟ وكيف يارجل !؟ ألم تقل بنفسك إن  
كل الرادارات رصدت انفجار طائرته في الجو !؟

انعقد حاجبا ( سيرجي ) الكئيب ، وهو يقول :

- ماذا دهاك يارجل !؟ المفترض أن تكون معرفتك  
بـ ( أدهم ) أكبر وأقوى من معرفتي به ، وأن تكون  
ثقتك بقدراته أضعاف ثقتنا بها .

قال ( أسعد ) في عصبية :

- وما شأن القدرات الشخصية هنا !؟

زداد انعقد حاجبي ( سيرجي ) ، وهو يقول في صرامة :

- إننا نتحدث عن ( أدهم صبرى ) يارجل .

كرز (أسعد) ، في عصبية أكثر :

- وما شأن قدراته بما حدث ؟!

صمت (سيرجى) للثيقة كاملة هذه المرة ، قبل أن يقول فى حزم :

- سيجد وسيلة ما .

دغدغت عبارته شيئاً ما ، فى أعماق (أسعد) ، فتمتم فى حذر متوتر :

- هل تعتقد هذا ؟!

مطّ (سيرجى) شفّيته ، وهو يقول :

- ما اعتدناه هو أن (أدهم) عبقرى فى عالمنا ، ولديه قدرة مدهشة على رصد ما حوله ، وإدراكه ، وإيجاد وسيلة للنجاة منه ، لا يمكن أن تخطر على بال سواه ، ثم إن لديه القدرة على السيطرة على أعصابه ، فى أحلك وأصعب الظروف والمواقف ، وهذا يمنحه مزية ، لا تتوفر لسواه .

حنق فيه (أسعد) بدهشة بالغة ، قبل أن يغتم :

- يا إلهى ! أينير (أدهم) إعجابك بلى هذا الحد ؟!

مطّ (سيرجى) شفّيته ، واتعدّد حاجباه فى شدة ، وهو يلوذ بالصمت بضع لحظات ، حتى أوقف سيرارته أمام مبنى قيادة الدفاع الجوى ، فقال فى حزم صارم :

- من الناحية الرسمية ، يعتبر (أدهم) خصماً لكل جهاز مخابرات فى العالم ، وكل منظمة للجاسوسية أو الإجرام ، ولكن من الناحية الفعلية ، نشعر جميعاً بأنه أستاذ فى مجاله .. عبقرى .. فلتة من فلتات الزمان ، لا يمكن أن تحظى الأجيال بمثلها إلا فيما ندر .

غمغم (أسعد) فى انبهار :

- تتحدث كما لو أنكما صديقان حميمان ، على الرغم من أنك قد سعيت لتدميره يوماً<sup>١٨</sup> .

صمت (سيرجى) لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

- إننا خصمان شريفان على الأقل .

(\*) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغبرة رقم (٥١) .



ثم غادر سيارته ، مستطردًا في صرامة :

- والآن هيا .. دعنا نعرف ما حدث .

لم تمض دقائق خمس ، على قوله هذا ، حتى كان قائد الدفاع الجوي المركزي يستقبلهما في مكتبه ، ويلقى نظرة حذرة على ( أسعد ) ، قبل أن يقول في احترام رسمي :

- مرحبًا يا كولونيل ( كوريوف ) .. أوامر سيادة الرئيس تم تنفيذها بمنتهى الدقة .. كل المعلومات الخاصة بحادثة ( الميج ) المخطوفة تم حجبها عن كل الجهات والأفراد .. الجنرال ( جوزيف كوليسكى ) حضر بنفسه ، للحصول على المعلومات الخاصة بالرصد البصرى المباشر ، ولكننا أقتنعناه بعدم وجود مثلها ، طبقًا لأوامر وتعليمات الرئيس .

غمغم ( سيرجى ) :

- عظيم .. ولكن لديكم شرائط رصد بصرية ..

أليس كذلك ؟!

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يقول :

- بلى .. ولكن ..

سأله ( سيرجى ) فى غلظة :

- ولكن ماذا ؟!

تردد الرجل مرة أخرى ، ثم قال :

- الواقع أن التأكيدات البصرية الوحيدة لدينا ، تم التقاطها بوسيلة بسيطة ، ومن مسافة كبيرة للغاية ، حتى إنه من العسير التأكد مما بها .

اندفع ( أسعد ) يقول :

- فليكن .. دعنا نراها ، وسنحكم بأنفسنا .

أدار القائد عينيه إليه فى شك حذر ، فقال ( سيرجى ) فى خشونة :

- لقد سمعت الرجل .

تردد الرجل لحظة ثلاثة ، ثم لم يلبث أن شد قلمته ، وأشار بيده ، قائلاً :

- تفضلاً .

جمعهم قاعة عرض خاصة ، لم تضم سواهم ،  
وضغط القائد زراً في مقعده ، وهو يقول :

- يمكنكما القول بأننا قد سجلنا لحظة الطائرة  
الأخيرة .

بدأ العرض على شاشة متوسطة الحجم ، وانعقد حاجبا  
( أسعد ) في توتر بالغ ، وهو يتابع طائرة ( ألهم ) ،  
التي يطردها الصاروخ في إصرار ، وهي تتلور مرة ،  
وثانية ، و ...

ويحدث الانفجار ..

وعضن ( أسعد ) شفقيه في مرارة ، عندما شاهد  
الصاروخ يرتطم بالطائرة ، التي انفجرت في عنف ،  
وتناثرت شظاياها على مساحة واسعة ، و ...

« أوقف العرض .. » ..

هتف ( سيرجي ) بالعبارة في صرامة ، وهو يهبط من  
مقعده بحركة حادة ، فضغط القائد زر الإيقاف بحركة  
آلية سريعة ، لينتوقف المشهد تماماً ، ويقتررب من

( سيرجي ) في اهتمام جارف ، جعل ( أسعد ) يهبط  
من مقعده بدوره ، متسائلاً في توتر :

- ماذا هناك ؟!

أشار إليه ( سيرجي ) بالصمت ، قبل أن يقول للقائد  
في صرامة :

- عد بنا بضع ثوان إلى الخلف .

ضغط القائد زراً آخر ، فترجع المشهد إلى الخلف  
لثانيتين أو ثلاث ، قبل أن يشير ( سيرجي ) بيده ،  
قائلاً :

- كفى .

توقف المشهد مرة أخرى ، فمال ( سيرجي ) نحوه  
أكثر وأكثر ، و ( أسعد ) يكرّر في عصبية :

- ماذا هناك ؟!

أشار ( سيرجي ) بسيابته إلى بقعة صغيرة ، قائلاً :

- انظر .



مال (أسعد) برأسه أكثر ، وحدق في البقعة ، التي  
تحجب إحدى الأشجار العالية الرؤية عن معظمها ،  
والتي بدت له كجزء من شظايا الطائرة المنفجرة ،  
وتساءل في توتر :

- وما هذا بالضبط ؟؟

أشار (سيرجي) إلى القائد ، قائلاً :

- إلى الأمام ببطء شديد .

ومع ضغطة زر آخر ، بدأ المشهد يتحرك إلى  
الأمام في ببطء ، لتتحرك معه تلك البقعة الصغيرة ،  
وتهبط نحو الأرض ، و ...

واتسعت عيننا (أسعد) عن آخرهما ، وحقق قلبه  
في عنف ..

فما رآه أمامه كان يقرب الأمور كلها رأساً على عقب ..  
يقربها تماماً .

\* \* \*

## ٦ - أمر بالقتل ..

تطلع مدير المخابرات العامة المصرية إلى الخريطة  
الكبيرة لـ (مصر) ، في حجرة مكتبه ، وهو يهز  
رأسه ، قائلاً :

- الأمر خطير للغاية .. فالخبراء يؤكدون أن سارقى  
الغازات القاتلة سيوجهون ضربة ثالثة ، لتأكيد قوتهم  
ووحشيتهم ، قبل أن يعلنوا مطالبهم .  
مطناً به شفتيه ، وهو يقول :

- ولكن لماذا؟! ما فعلوه حتى الآن حصد آلاف الضحايا  
الأبرياء ، ومعظمهم من النساء والأطفال والشيوخ ،  
فماذا لا يعلنون مطالبهم ، حتى تتوقف لمنبحة ، ونعلم  
جميعاً ماذا يريدون؟!  
تنهد المدير ، قائلاً :

لأنهم يظنون أن ما سيطلبونه ليس سهلاً أو يمكن

تلبيته ، لذا فهم يبالغون في وحشيتهم ، حتى تتحطم الروح  
المعنوية للحكومات ، في كافة أنحاء العالم ، قبل إعلان  
مطالبهم ، التي ستبدو عندئذ قابلة للتنفيذ .

غمغم النائب في مقت : .

- يا للوحشية !

قال المدير في صرامة :

- من الواضح أنهم يتمتعون بالكثير منها .

لم يكذبتم عبارته ، حتى سمع طرقات على باب  
مكتبه ، فرفع عينيه إليه ، قائلاً :

- ادخل .

مع آخر حروف الكلمة ، نلف مدير مكتبه إلى الحجرة ،  
بوجه شاحب ممتقع ، وهو يقول في توتر شديد :

- الضربة الثالثة وقعت .

امتقع وجه المدير ونائبه ، وهتف الأوك في تزعاج  
مذعور :

- أين !؟

اتجه إليه الرجل بتقرير عاجل ، مع خريطة  
متوسطة للعالم ، حملت ثلاث علامات واضحة ، في  
(روسيا) ، و(ألمانيا) ، و(أمريكا) ، وهو يقول :

- هنا .

مسح المدير ونائبه الخريطة يعيونهما في سرعة ،  
قبل أن يتساعل الأخير :

- وماذا عن الخسائر !؟

تردد الرجل لعابه ، على نحو يوحي بأنه يجد صعوبة  
في هذا ، قبل أن يجيب بصوت شديد التوتر :

- ما يزيد على سبعة آلاف مواطن ، بالإضافة إلى  
مئات من الحيوانات والطيور .

عض المدير شفثيه في غضب مرير ، في حين هتف  
نائبه في غضب :

- يا للوحوش !

وفي توتر معائل ، استدار المدير إلى مدير مكتبه ،  
مستائلاً :

- وماذا عنا !؟



هزُّ الرجل رأسه ، مجيئاً :

- لم تصلنا أية معلومات بعد .

مع آخر حروف كلماته ، اندفع رئيس قسم  
الاعتراض إلى المكان ، بوجه شاحب ممتنع ، وهو  
يقول :

- معذرة يا سيادة المدير ، ولكن الأمر ..

قاطعهُ المدير ، وهو يشير إليه ، متسائلاً في قلبه  
شديد :

- لا بأس يا رجل .. ماذا لديك !!؟

اتجه الرجل إليه مباشرة ، وهو يحمل ورقة ،  
قائلاً :

- لقد اعترضنا اتصالاً لاسلكياً رقمياً ، تم عبر

الأقمار الصناعية ، باللغة الروسية ..

سأله المدير في قلبه أكثر :

- وما محتوى ذلك الاتصال !!؟

التقط الرجل نفساً عميقاً ، قبل أن يرتجف صوته  
في انفعال ، وهو يقول :

- إشارة لتنفيذ العملية .. فوراً .

واتسعت عيون المدير ونائبه ..

إلى أقصى حد ..

\* \* \*

أكثر من دسسته من القتلة المحترفين ، بمدافعهم  
الآلية القوية ، انقضوا على تلك الحجرة ، التي تحوى  
فحة صومعة الغلال ، والتي يتحصن داخلها (شريف)  
(ريهام) و(منى) ، بثلاثة مدافع آلية فحسب ..

وعلى الرغم من أن كل شيء كان يوحى باتعدام  
التكافؤ ، في معركة كهذه ، إلا أن (منى) هتفت في  
حزم :

- هيا ..

ومع أول حرف من هتافها ، فتج (شريف)  
(ريهام) رصاص مدفعيهما ..

وانطلقت الثيران ..

من الجانبين ..

ثلاثة مدافع آلية ، فى مواجهة ستة كاملة ..

فيض من الرصاصات بلا حدود ..

دوى بصم الأذن ، على نحو جعل للدكتور (أحمد) يهتف فى ارتياح :

- رباه .. ماذا يحدث هناك ؟! ماذا يحدث ؟!

وعلى الجانبين ، تفجرت الدماء فى غزارة ..

ثلاثة من قتلة (المافيا) الروسية سقطوا صرعى ، وأربعة آخرون أصابتهم الرصاصات فى عنق ..

(ريهام) اخترقت كتفها رصاصة ، و(شريف) شعر بالآلام رهيبية فى ساقه ، جعلته يسقط مرغماً على ركبتيه ، فى حين واصلت (منى) إطلاق رصاصاتها فى استماتة ، على الرغم من إصابة نراعها ، والرصاصات التى تنتظير حولها من كل صوب ..

وفى مرارة ، هتفت (ريهام) :

- يا للسخافة ! لقد نفذت خزنة مدعى ..

اتعدت جاجبا (منى) ، وهى تهتف بـ (شريف) ، ومبابتها مازالت تتعصر زناد مدفعها الألى :

- أعطها مدفعك .

ألقي (شريف) مدفعه إلى (ريهام) فى يأس ، وهو يغمغم :

- لا فائدة .. إنهم يفوقوننا عدداً وعدة .. لا فائدة .

صرخت فيه (منى) :

- اصمت .. لا تقل هذا .. لا تقل هذا أبداً .

عضت (ريهام) شفتيها ، وهى تطلق آخر رصاصات مدفعها ، وشعرت برصاصة أخرى تخترق فخذاها ، فانطلقت من صدرها آهة غضب ومرارة وقم ، ورأت الدماء تتفجر من عنق (منى) ، وجسد هذه الأخيرة يرتد إلى الخلف فى عنق ، ويرتطم بالجدار ، فصرخت :



- لا .. ليس بهذه الوسيلة .

امتزجت صرختها بضحكة وحشية ، أطلقها قائد  
مجموعة القتلة ، وهو يهتف برجاله ، أو بمن تبقى  
منهم :

- انتصرونا يا رجال .. خطوة أخرى ، ونحصدهم  
جميعاً بلا رحمة أو هوادة .

شعرت ( ريهام ) باليأس والمرارة والإحباط ،  
وهي تلقى مدفعها ، بعد أن نفذت خزائنته ، وتدفع  
محاولة التلقاظ مدفع ( منى ) ، التي سقطت على  
وجهها أرضاً ، وقد راودها شعور بأنه لم يعد هناك  
أمل فى النجاة من هذه المصيدة الرهيبة ..  
أدنى أمل ..

ولكن فجأة ، سمعت صوتاً مألوفاً غاضباً ، يقول  
فى صرامة شديدة ، وحزم بلا حدود :

- المهم أن تجد الوقت ، لتخطو تلك الخطوة أيها  
الوغد .

شبهت ( ريهام ) فى فرحة غامرة ، واتسعت عينا  
( شريف ) عن آخرهما ، فى حين رفعت ( منى )  
رأسها عن الأرض ، وغمغت فى لهفة متهاككة :

- ( أدهم ) .. يا إلهى ! ( أدهم ) .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها كلماتها ، كان  
قتلة ( المافيا ) الروسية الخمسة يستديرون ، فى آن  
واحد ، لمواجهة ( أدهم ) ، وفوهات مدافعهم ترتفع  
نحوه ، و ...

وكان أعنف إعصار واجهوه ، فى حياتهم كلها ..

إعصار غاضب ثائر ، وصل فى الوقت المناسب ،  
لينقذ أقرب وأحب الناس إليه ، فى الكون كله ، قبل  
أن تحصدهم يد الشر بلا رحمة ..

فمع استدارة الرجال الخمسة ، شعر أحدهم بقبلة  
تفجرت فى أنفه ، قبل أن ينتزع أحدهم مدفعه الآلى فى  
عنف ، ثم يهوى به على رأس الثانى ، فى نفس اللحظة  
التي ارتفعت فيها قدمه ، لتركل الثالث فى فكه ..

واتطلقت رصاصات الرجلين الآخرين نحو (أدهم) ،  
ولكن هذا الأخير تحرك بسرعة مذهلة ، قبل حتى أن  
تنطلق الرصاصات ، ووثب إلى أعلى ، وتعلق بقائم  
فى السقف ، ليركل الرجلين فى وجهيهما ، ثم يقلت  
يديه ، ويدور حول نفسه فى الهواء ، ليهبط على  
قدميه ، وتحرك قبضاته فى أن واحد ، لحسم المعركة ،  
وإسقاط كل من يقف على قدميه من حوله ..

وفى ارتياح ، حذق المصابون فيما حدث ، وهتف  
أحدهم :

- الرحمة .

لم ينتفت (أدهم) إليه ، وهو يندفع نحو الحجره ،  
التي تضم رفاقه ، بكل لهفة الدنيا ..

وفى توتر بلغ مداه ، انعقد حاجباه ، وهو يحدق فى  
(منى) ، الملقاه أرضاً ، وهتف :

- رباه ! أهى !؟

قبل أن يتم هتافه ، رفعت (منى) عينيها إليه ،  
وابتسمت فى ضعف ، مغممة :

- أنا بخير يا (أدهم) .

خيّل لـ (شريف) و(ريهام) أنه لم يشعر حتى  
بوجودهما ، وهو يندفع نحو (منى) ، ويحتويها بين  
ذراعيه فى حنان جارف ، ويتصنن جرح عنقها  
بأصابعه ، هامساً :

- أنت تحتاجين إلى إسعاف عاجل .

ابتسمت بكل حب الدنيا ، متممة :

- إنه مجرد جرح سطحي .

غمغمت (ريهام) ، وكأنما أحرقها ألا يشعر بهما  
(أدهم) :

- كلنا مصابون .

التفت إليها (أدهم) ، وهو يتساعل فى اهتمام :

- أأنتم بخير !؟

بدا (شريف) سعيداً للغاية ، وهو يجيب فى حماسة :

- كنا نعلم أنك ستأتى .. كنا واثقين من هذا .



أما (ريهام) ، فقالت في توتر :

- ولكن السيد (قدرى) مصعب ، ويحتاج إلى إسعاف عاجل .

التقى حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يريد :

- يا إلهى ! أين هو ؟! وأين (أحمد) ؟!

أشارت (منى) بيدها ، قائلة :

- هناك .. فى قاع تلك الصومعة .

اندفع يلقى نظرة داخل الصومعة ، وما إن رآه الدكتور (أحمد) ، حتى هتف فى لهفة تمتزج بالارتياح :

- (أدهم) .. حمدا لله .. حمدا لله .

أشار (أدهم) إلى (قدرى) ، وهو يسأل شقيقه فى قلق بالغ :

- ماذا أصابه ؟!

أجابته (أحمد) فى عصبية :



حَبِيلٌ لـ ( شريف ) و ( ريهام ) أنه لم يشعر حتى بوجودهما ، وهو يندفع نحو ( منى )

تفت دخان سيجارته في قوة وعصبية ، قبل أن يقول  
في وحشية :

- نفذ إذن .. لا أريد أن تبقى نرة واحدة منهم ..  
هل تفهم !؟

التقى حاجبا (زوشا) في شدة ، وهي تتساعل عما  
يعنيه بقوله هذا ، في حين أنهى هو الاتصال ، وترجع  
في مقعده ، وتفعل جارف يعصف بكل نرة من كياته ،  
وعقله يتساعل في عصبية غاضبة ..

كيف أفلت (أدهم) من الموت هذه المرة !؟

كيف !؟

كيف !؟

\*\*\*

« لقد أطلق مقعد الطائرة .. »

تطلق (سيرجي كوريوف) العبارة ، وهو يشير إلى جزء  
تم تحسينه وتكبيره من شريط المراهبة للبصرية ، ثم تراجع  
متبعا ، والفيلم يتواصل على الشاشة متوسطة الحجم :

رخصة في الصدر .. لا بد أن نجد وسيلة لإخراجه  
من هنا بأقصى سرعة .. إنه سيلفظ أنفاسه الأخيرة  
بين أيدينا ، لو لم نريح كل دقيقة ممكنة .

ازداد انعقاد حاجبي (أدهم) ، وهو يعتصر ذهنه ،  
قائلا في حزم :

- سنجد وسيلة ما يا (أحمد) .. سنجد وسيلة ما  
بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، وعنايته .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان  
(يوري إيفاتوفيتش) يمسك هاتفه المحمول في قوة ،  
قائلا ، وهو يسيطر على أعصابه بكل طاقته :

- إذن فقد فعلها ذلك المصري .. كنت واثقا من  
أنه لم يلق مصرعه .. كنت واثقا تمام الثقة .

ثم التقى حاجباه في شدة ، وهو يسأل محدثه :

- هل أعدتكم ما أمرتكم به !؟

كان من الواضح أن محدثه قد أجابه بالإيجاب ، فقد



- فى اللحظة الأخيرة ، وبمهارة مذهلة كعادته ،  
جنب تلك للذراع الاحتياطيّ الصغيرة ، المصنّعة بمقعد  
القيادة ، والمسنولة عن إطلاق المقعد براكبه خارج  
الطائرة ، كإجراء احتياطيّ ؛ وهذا ما يفعله أى طيار  
محترف ، فى ظروف مماثلة ، ولكن العبقرية هنا تكمن  
فى أنه قد فعل هذا فى اللحظة الأخيرة ، بحيث يضيع  
مرآه وسط الانفجار ، ثم لم يفتح مظلة المقعد ، إلا فى  
اللحظة الأخيرة أيضاً ، ويعد أن أخفته قسّم الأشجار  
العالية عن عيون أى مراقبين محتملين ، على الرغم  
مما فى هذا من صعوبة وخطورة ..

ثم هز رأسه ، قبل أن يضيف :

- عبقرى ومذهل كعادته .

ابتسم ( أسعد ) فى ارتياح ، وهو يقول :

- المهم أنه على قيد الحياة .

التفت إليه ( سيرجى ) ، قائلاً فى صرامة :

- مؤقتاً .

انعقد حاجبا ( أسعد ) ، فى حذر حائر ، فتابع ( سيرجى )  
بنفس الصرامة :

- وفقاً لما نراه ، فقد هبط ( أدهم ) على مشارف  
( لينتجراد ) ، وكل ما سبق هذا من أحداث يؤكد أنه يسعى  
إلى صوامع ( جياروف ) للغلال ، وهى منطقة تقع تحت  
حماية ( المافيا ) الروسية ، ثم إن زعيمهم الجنيد ( يورى )  
رجل نكسى أكثر مما ينبغى ، وسيدرك حتماً هدف  
( أدهم ) ، الذى يسعى خلف رفاقه ؛ فى محاولة لإيقادهم ،  
ولن يسمح له ( يورى ) بهذا أبداً .

قال ( أسعد ) فى توتر :

- وما دمت تعلم هذا ، وتعلم أيضاً أن ( أدهم ) برىء

من محاولة اغتيالك ، فلماذا لا تتحرك فى سرعة ؛ لإنقاذه

من كل هذا ؟!

التقى حاجبا ( سيرجى ) الكئيب ، وهو يقول :

- لأننى الوحيد ، الذى يؤمن بهذا .

بدت الدهشة على وجه ( أسعد ) وصوته ، وهو يغتم :

- وكيف هذا ؟ ألم يقل قائد الدفاع الجوي : إن الرئيس نفسه قد ..

قاطعوه ( سيرجى ) ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- الرئيس يتحرك وفقاً لخطة كبرى ، لكشف الخيانة ، وسط صفوف المخابرات الروسية ؛ لأننا نثق بأن عملية سرقة غاز الأعصاب القاتل ، لم تكن لنتم بنجاح ، دون تورط بعض القيادات الداخلية فيها ، ومصارع الجنرال ( فاسيلوف ) يؤيد هذه النظرية .

قال ( أسعد ) فى عصبية :

- إذن فكل هذا من أجل عملية غاز الأعصاب ، وليس من أجل ( أدهم ) ؟

أوما ( سيرجى ) برأسه إيجابياً ، وقال :

- نعم .. حتى متابعة عملية اختطاف ( الميج ) ، تمت بكل هذا الاهتمام وهذه السرية ؛ لأننى أوهمتهم أنها تتعلق بعملية غاز الأعصاب ، وليس بـ ( أدهم ) .

سأله ( أسعد ) ، وقد بلغت حيرته ذروتها :

- ولكن لماذا ؟! لماذا تفعل كل هذا من أجل ( أدهم ) ؟!

لجابه ( سيرجى ) فى صرامة :

- لست أفعل هذا من أجل ( أدهم ) .

ثم شد قامته ، مستطرداً فى حزم :

- إننى أفعله من أجل ( روسيا ) ..

سأله ( أسعد ) فى عصبية :

- وكيف هذا ؟!

مطاً ( سيرجى ) شفتيه ، وبدأ متردداً بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- لقد استشرى الفساد بيننا يا رجل ، حتى لم يعد هناك من يمكننى أن أثق به ؟ لمواجهة عملية غاز الأعصاب ، دون أن أكشف ، فى لحظة الذروة ، أنه يعمل فعلياً لحساب ( المافيا ) .

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع :

- رجل واحد ، كان يمكننى أن أمنحه ثقتى ، وأن



أسعى إليه ؛ لنعمل جنباً إلى جنب ، فى مواجهة هذه الكارثة العالمية .

غمغم ( أسعد ) فى انفعال :

- ( أدهم ) !؟

استدار إليه ( سيرجى ) ، مجيباً فى صرامة :

- بالتأكيد .

ثم عاد بصره يشرود ، وهو يضيف :

- المهم أن يبقى على قيد الحياة ، حتى أصل إليه .

والتقى حاجبا ( أسعد ) فى شدة ..

فبالفعل ، كان هذا هو المهم ..

جداً ..

\* \* \*

أحكم ( أدهم ) رباط الحبل السميك ، لذى أحاط به جسد ( قدرى ) الضخم ، ليثبتته فى الباب الكبير ، لذى انتزعه

من الحجرة ، وأرقد عليه صديق عمره ، قبل أن يقول لشقيقه فى حزم :

- سلتخدم سيارة هؤلاء القتلة ؛ لأرفع جسد ( قدرى )

من هنا .. كل ما عليك هو أن تتابع عملية اقتضائه ، حتى

يبلغ السطح ، وبعدها سننقله بالسيارة إلى أقرب

مستشفى ، فالكل هنا يحتاج إلى إسعاف عاجل .

غمغم الدكتور ( أحمد ) :

- بالتأكيد .

ثم تطلع إليه بقلق بالغ ، مضيفاً :

- أنت أيضاً بحاجة إلى فحص شامل ، حتى لايفاجئك

انهيار جسدك ، فى ظروف أكثر صعوبة من هذه ،

مادامت المعركة لم تتوقف بعد .

أجابته ( أدهم ) فى حزم ، وهو يثب متعلقاً بالحبل ،

الذى ثبتته فى سيارة القتلة ( الجيب ) :

- لاوقت لهذا يا شقيقى العزيز ، فالمعركة الحقيقية

لم تبدأ بعد .

اتسعت عينا (أحمد) ، وهو يهتف في ارتياح :

- لم تبدأ بعد ؟ ماذا تعنى يا (أدهم) !!؟ ماذا تعنى !؟

لم يجب (أدهم) ، وهو يتسلق الحبل فى خفة ونشاط ، حتى بلغ الحجرة العلوية ، حيث جلس (شريف) و(ريهام) و(منى) ، والدماء ما زالت تنزف من جروحهم ، على الرغم من الضمادات البدائية التى أحاطوها بها ، فتطلع إليهم لحظة ، فى توتر مشوب بالقلق ، قبل أن يقول :

- سأبدل قصارى جهدى .

قالها ، ثم انطلق إلى السيارة ذات الدفع الرباعى ، التى تقف أمام المبنى ، وتأكد من أن الحبل مثبت بها جيداً ، قبل أن يثب إلى مقعد قيادتها ، ويدير محركها ، ثم يتحرك بها إلى الأمام فى ببطء ..

و هناك ، داخل الصومعة ، بدأ جسد قبرى للضخم يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

وغمغم الدكتور (أحمد) فى ارتياح :

- حمداً لله .. حمداً لله ما زال هناك أمل .. حمداً لله .

وفى الحجرة العلوية ، تابعت (منى) ارتفاع جسد (قبرى) ، على الرغم من جراحها ، والدماء التى تغرق عبقها وصدرها ونزاعها ، وراحت تهتف فى حماسة :

- هيا يا (أدهم) .. هيا .. متر آخر ، ويصبح (قبرى)

هنا .. هيا .

لم يكن (أدهم) بحاجة لهاتفها ، وهو يتحرك إلى الأمام فى ببطء وحذر أكثر ، حتى سمع (منى) تهتف فى سعادة :

- إنه هنا .

كان الحبل مثبتاً فى قائم خشبى قوى ، فى سقف الحجرة ، لذا فقد تعاونت (ريهام) مع (منى) ، لدفع الباب ، الذى استقر فوقه جسد (قبرى) ، الذى تغرق الدماء صدره ، حتى أصبح فوق الأرضية ، فهتفت (منى) بكل قوتها :



- إنه هنا يا (أدهم) .. إنه هنا .

التقطت أننا (أدهم) هتافها ، فأغلق عينيه فى ارتياح ، قبل أن يغمغم :

- تمالك يا (قدرى) .. تمالك يا صديقى العزيز .. لا تتعجل بالرحيل ، بعد كل ما نبذله من أجلك .. ابقى معا بالله عليك يا صديقى .. ابقى معا .

قالها ، وأفرغ لوازغ قلبه كلها فى تهيدة ملتهبة ، قبل أن يغادر السيارة ، ويحاول أن يبتسم ، متابعا :

- حانت لحظة الخروج من هنا ، والأفضل أن ..

قبل أن تكتمل عبارته ، تطلق دوى رصاصة فجأة ، ورآها (أدهم) تخترق زجاج السيارة ، فلقى نفسه أرضا ، وهو يهتف :

- رباه ! هناك المزيد منهم .

لم تكذ عبارته تكتمل ، حتى انتهالت الرصاصات

على السيارة كالمطر ، فى نفس اللحظة التى اشتعلت فيها النيران فجأة ، فى دائرة واسعة ، تحيط بالصومعة ..

وبسرعة مذهشة ، وعلى نحو يوحى بأن كل شيء معد مسبقا ، انتشرت دائرة النيران ، وراحت تلتهم كل شيء فى طريقها ، وهى تتجه نحو الصومعة من كل صوب ..

ومن موقعها ، صرخت (ريهام) :

- يا إلهى ! ما هذا !؟ ما هذا !؟

أما (منى) فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحنق فى النيران ، التى شقت طريقها فى سرعة ، حتى بلغت سيارة الدفع الرباعى ، التى يختفى خلفها (أدهم) ، فى نفس الوقت الذى واصلت فيه الرصاصات اتهمراها فى عنف وغزارة ، وكأما الغرض الرئيسى منها هو ألا تمنحه فرصة للخروج من مكانه ، حتى تبلغه النيران ، وتلتهمه مع السيارة التهاما ..

وأمام عينيها المذعورتين ، اشتعلت النيران في  
المسيرة بالفعل ..

وبت من الواضح أن الفخ محكم هذه المرة ..

وأنة لا توجد وسيلة واحدة للفرار منه ..

على الإطلاق

\* \* \*



## ٧- بلا أمل ..

« نفذ المهمة ، فور بلوغ الهدف .. »

نطق رئيس قسم الاعتراض العبارة ، قبل أن يلتفت  
إلى رجال المخابرات ، وعند من قيادات الشرطة ،  
متابعًا :

- اتصال قصير ، ولكنه يحمل المعنى المنشود ،  
والأمر المباشر ، من قيادة ما في (روسيا) ، أو في أي  
مكان آخر من العالم ، فهذا ما تعجز أجهزتنا الرقمية  
الحديثة عن تحديده ، ولكن جهة الاستقبال هنا ، في  
مكان ما داخل حدودنا يعمل قسم الاعتراض الآن  
على تحديد إحداثياتها بدقة أكبر .

لوح أحد قيادات الشرطة بيده ، قائلاً في توتر :

- المشكلة هي أننا لانعلم ما الهدف ، ولاحتي ما المهمة  
المطلوب تنفيذها ، والأخطر أننا لانعلم متى يتم هذا .



أجابه آخر من قيادات الشرطة :

- المهمة ، كما يمكن الاستنتاج بسهولة ، هي تفجير عدد من أسطوانات غاز الأعصاب ، في مكان ما هنا ، وهذا المكان هو ما حمل اسم (الهدف) ، ومهمتنا الآن هي أن نسعى لتحديده .

أضاف أحد رجال المخابرات في حزم :

- وبأسرع وسيلة ممكنة .

تراجع أحد رجال المخابرات الآخرين في مقعده ، واتخذ حليجاء في شدة ، وكلّما يدرس عقله فكرة ما ، في حين قال قائد الشرطة الأوّل ، وقد حملت لهجته شيئاً من العصبية :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل ، ولكن الوقت يمضى بأسرع مما يمكننا التحكم في الأمر .

اعتدل رجل المخابرات ، الذي ظلّ صامتاً منذ البداية ، وقال في حزم :

- فنوقف الوقت إذن .

التفت إليه الجميع في دهشة متمسّلة ، وسأله أحد زملائه في حيرة :

- وكيف يمكن لأي مخلوق ، مهما بلغت قوته ، أن يوقف الزمن ؟

بدا الرجل مفعماً بالحماسة ، وهو يجيب :

- إنه مصطلح مجازي ، ولكن المقصود به هو كسر المعادلة ، التي حملها ذلك الأمر الوحشي ، عبر اتصال الأقمار الصناعية .

فتقل الاهتمام إليهم ، وأحد قيادات الشرطة يسأله :

- أيمكنك أن تفسّر أكثر ؟

نهض رجل المخابرات من مقعده ، وبدأ يتحرك في المكان في حماسة ، وهو يقول :

- العبارة التي التقطتها أجهزة الاعتراض الرقمية الحديثة واضحة للغاية .. «نقذ المهمة ، فور بلوغ الهدف» .. عبارة شرطية مباشرة ، لا بد أن يبلغ فيها شخص ما ، أو فريق ما منطقة تم الاصطلاح على تسميتها بالهدف ، ليتم تنفيذ المهمة .

والتقط نفساً عميقاً ، مع اعتداله لمواجهة العيون  
التي تتابعه في اهتمام ، قبل أن يتابع في حزم :

- مهمتنا إذن أن نمنع عملية بلوغ الهدف ؛ حتى  
لا يتم تنفيذ المهمة .

تسأل أحد قيادات الشرطة ، في اهتمام بالغ :

- وكيف يمكننا أن نفعل هذا ؟!

أشار إليه رجل المخابرات ، قائلاً :

- إنها مهمتكم .

تسأل الرجل في دهشة :

- مهمتنا نحن ؟! أتقصد جهاز الشرطة ؟!

أجاب في سرعة :

- بالطبع .. الاتصال يؤكد أن شحنة أسطوانات الغاز  
تتحرك الآن ، لبلوغ الهدف ، وشحنة كهذه لن يتم  
نقلها على أكتاف الرجال ، وإنما بواسطة سيارة من  
سيارات نصف النقل ، أو حتى داخل سيارة أو عدة

سيارات عادية .. وهذا يعنى ، فى كل الأحوال ، أن  
النقل يتم عبر طرق رئيسية ، أو حتى فرعية .

وصعت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- فلننلق كل الطرق إذن .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتف به أحد  
قيادات الشرطة فى حدة :

- هل تتحدث جاداً يا رجل ، أم أنها أكثر الدعابت

سماجة ، فى الدنيا كلها ؟! هل تدرك ما الذى يمكن

أن يفعله إنغلاق جميع الطرق فى (مصر) كلها ؟!

التقى حاجبا رجل المخابرات ، وهو بجيب فى  
صرامة :

- نعم .. سينقذ حياة الآلاف ، الذين يمكن أن يحصدهم

الغاز القاتل فى دقائق معدودة ، وسيمنع انفجار حالة

من الذعر والهلع ، تعجز معها أية قوة فى الأرض ،

عن السيطرة على الموقف ، وستنلق معها كل الطرق ،

فى طول البلاد وعرضها ، إجبارياً هذه المرة .



تراجع قائد الشرطة ، وتبادل نظرة متوترة مع  
رفاقه ، قبل أن يغمغم ، فى لهجة توحى بالقتناعه  
بالأمر ، على الرغم من صعوبته وخطورته :

- إجراء كهذا يحتاج إلى موافقة سيادة وزير الداخلية  
شخصياً .

أشار رجل المخابرات بيده ، قائلاً :

- لا تجعل هذ يقلقك ، سأبلغ سيادة المدير ، ليقوم  
باتصاله به فوراً ؛ لاتخاذ كل الإجراءات الواجبة .

تبادل رجال الشرطة النظرات مرة أخرى ، قبل أن  
يتساعل آخر فى اهتمام :

- وكم سيستغرق هذا فى رأيك ؟!

استدار رجل المخابرات إلى رئيس قسم الاعتراض  
بنظرة متسائلة ، فتنحج هذا الأخير ، ، قبل أن يجيب :

- الرجال يحتلجون إلى ساعة واحدة على الأكثر ؛ لتحديد  
موقع وإحداثيات الاستقبال .

تساعل رجل الشرطة :

- وبعدها ؟!

أجابه رجل المخابرات هذه المرة ، قائلاً :

- بعدها ستقتصر عملية إغلاق الطرق على المسارات  
الأساسية والفرعية ، التى تمتد من البقعة ، التى تم  
عندها استقبال الاتصال .

اندفع رجل الشرطة الثالث ، يقول :

- وماذا لو تغيرت الأوامر ؟!

استدار إليه الكل فى اهتمام متسائل ، فأضاف فى  
قلق واضح :

- ماذا لو شعر (شليكو) هذا بإغلاق الطرق ، وأبلغ  
قائدته فى (روسيا) ، فغير هذا الأخير ، الذى تصفونه  
بالذكاء والوحشية أوامره ، وطلب منه إطلاق الغاز حيثما  
يتواجد ؟!

وتفجرت موجة عنيفة من التوتر فى المكان ..

وأطل قلبي عارم من كل الوجوه ..

وكل العيون ..

فلاحتمل ، الذى طرحه قيادى الشرطة ، كان خطيراً  
ومخيفاً ..

ومعناً ..

إلى درجة رهيبية ..

\* \* \*

تراجع الجنرال (جوزيف كواليسكى) فى مقعده ، داخل  
حجرة مكتبه الواسعة ، فى مبنى المخابرات الروسية ،  
وتطلع بضع لحظات إلى مبنى (الكريملين) ، الذى تطل  
عليه نافذة حجرته مباشرة ، وبدت عليه علامات التفكير  
بعض الوقت ، قبل أن يلتفت إلى زميله (بالفوف) ، قائلاً :

- إنى فقد أخرج الكولونيل (كوروبوف) مسلول  
المخابرات المصرى (أسعد) من زنتانته ، ولم يكتف  
بفعل هذا ، دون الرجوع إلى رؤسائه ، وإنما اصططحبه

أيضاً إلى قيادة الدفاع الجوى ، مخالفاً بذلك كل  
قواعد الأمن والسرية .

أوماً (بالفوف) برأسه مؤيداً ، فالتقى حاجبا  
(كواليسكى) ، وغرق فى التفكير العميق لبضع لحظات  
أخرى ، قبل أن يتساعل :

- وماذا فعل بعدها !؟

مال (بالفوف) إلى الأمام ، وخفض صوته ، وكأنما  
يخشى أن يسمعه أحد ، وهو يجيب :

- استقل طائرة من طائراتنا الخاصة ، مع ذلك  
المصرى ، وأقلع بها إلى (ليننجراد) .

ازداد انعقاد حاجبى (كواليسكى) ، وهو يعتدل فى  
مقعده بحركة حادة ، قائلاً :

- قيادة الدفاع الجوى ، ثم (ليننجراد) !؟

غرق فى تفكير متوتر لدقيقة ، قبل أن ينتقط هاتفه  
المحمول ، قائلاً فى عصبية شديدة :



- هناك تأكيد بصرى .. هؤلاء الأوغاد أنكروا ، وأخفوا  
عنى أمر التأكيد البصرى .

نطقها ، وهو يضرب أزرار الهاتف ، قبل أن يهتف  
عبره :

- لقد خدعونا أيها الزعيم .

أتاه صوت ( يورى إيفانوفيتش ) ، مفعماً بالغضب  
والشراسة ، وهو يقول :

- خدعوك أنت أيها الغبى .. لنا علمت أن (أدهم صبرى)  
مازال على قيد الحياة ، بعد حادث الميخ .

امتقع وجه ( كواليسكى ) ، وهو يقول :

- ولكن كيف ؟

زمجر ( يورى ) فى غضب هائل ، وهو يقول :

- ابحث أنت عن جواب السؤال ، أما أنا ، فأمامى

مهام أكثر تعقيداً ، أولها أن أضمن ألا يتكرر هذا  
ثانية .

سأله ( كواليسكى ) فى حذر متوتر :

- ألا يتكرر ماذا ؟!

أجابته ( يورى ) فى شراسة أكثر :

- ألا ينجو (أدهم صبرى) مرة أخرى .. أبداً ..  
ومهما كان الثمن .

أتردد ( كواليسكى ) لعبه فى صعوبة ، وهو يقول :

- هل لى أن أعرف كيف ؟!

قاطعه ( يورى ) فى غضب وحشى :

- كلا .. لا يمكنك هذا .

ثم أنهى الاتصال فى عنف ، جعل وجه ( كواليسكى )  
يمتقع أكثر ، وهو يحدث فى وجه زميله (بالوف) ،  
الذى قال فى حرج :

- من الطبيعى أن يشعر بالغضب ، و ...

قاطعه ( كواليسكى ) ، وهو يميل نحوه ، ويسأله  
فى عصبية :

- كيف كان رجالك يراقبون (كوروبوف) !؟

سأله (بافلوف) في حذر :

- ماذا تعنى !؟

هتف به ، فى عصبية أكثر :

- هل اكتفوا بمتابعته ، أم أن لديهم بعض التسجيلات  
والصور ، وما شابهه !؟

أجابه (بافلوف) فى حذر :

- لا توجد تسجيلات ، ولكن هناك بعض الصور ،

و ...

قاطعته فى انفعال :

- أهنك صور تضمته مع ذلك المصرى ، فى أثناء  
دخولهما مقر قيادة الدفاع الجوى !؟

أوماً (بافلوف) يرأسه ، قاتلاً فى حذر قلق :

- بالتأكيد .

تراجع (كواليسكى) فى مقعده مرة أخرى ،  
هتفاً :

- عظيم .

سأله (بافلوف) ، وقد تضاعف حذره :

- ما الذى تفكر فيه بالضبط يا جنرال !؟

بدت ابتسامه (كواليسكى) عصبية شرسة ، وهو  
يلتقط سماعة الهاتف الداخلى المؤمن ، قاتلاً :

- سترى .

راقبه (بافلوف) ، وهو يطلب رقماً داخلياً قصيراً ،

ثم هتف بصوت أقرب إلى الذعر :

- المدير !؟ هل ستتحثث إلى المدير !؟

استدار إليه (كواليسكى) ، وهو يقول فى صرامة  
شرسة :

- اصمت .

ثم تلاشت صرامته دفعة واحدة ، على نحو عجيب ،



عندما سمع صوت المنير ، على الجانب الآخر للخط ،  
وابتسم في سرعة ، قائلاً :

- مرحباً يا سيادة المنير .. في آخر مرة ، كنا نتحدث  
عن حتمية وجود خائن بين الصفوف .. أليس كذلك !؟

وصت لحظة ، ليستمع إلى رد المنير ، وقد اتسعت  
ابتسامته ، واكتست بظفر وحشى ، وهو يغمز بعينه  
لزميله في الخيانة (بالوف) ، قائلاً :

- أعتقد أن لدى بعض الأئمة والوثائق والبراهين ،  
التي تجعلك تدرك من هو الخائن هنا .

قالها ، واتسعت ابتسامته الوحشية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

\* \* \*

« لست أفهم هذا أبداً .. »

ألقى (أسعد) العبارة في عصبية ، وهو يجلس



راقبه (بالوف) ، وهو يطلب رقماً داخلياً قصيراً .

داخل الطائرة الخاصة الصغيرة ، التي تنطلق به مع  
(سيرجى) ، نحو (ليننجراد) ، فالتفت إليه هذا الأخير ،  
وهو يقول ببروده الصارم التقليدى :

- ما الذى لا تفهمه !؟

لوح (أسعد) بيده ، قائلاً :

- لماذا نقطع كل هذه المسافة ؛ لمساعدة (أدهم) ، فى  
قتاله ضد (المافيا) الروسية فى (ليننجراد)؟! لماذا لم  
تصدر أوامرك لمكتبكم هناك ، حتى يؤمنوا له  
وللباقين الحماية اللازمة ، حتى نبلغ موقعهم .

هزّ (سيرجى) رأسه ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أثق بأحد .

مطّ (أسعد) شفتيه ، وقال فى عصبية :

- من المستحيل أن يكون الفساد قد استشرى إلى  
هذا الحد !!

أجابته (سيرجى) فى صرامة :

- ولم لا؟! الفساد نار تنتشر ، فى كل اتجاه قابل

للاشتعال ، والمال كان وسيظلّ دوماً إغراء لا يقاوم ،  
مادام المرء يفتقر إلى الشرف والنزاهة .

قال (أسعد) فى سرعة :

- والإيمان .

تتهد (سيرجى) ، وغمغم :

- نعم .. والإيمان .

هزّ (أسعد) رأسه ، قائلاً فى توتر :

- ولكن ما لخشاه أن نصل بعد فوات الأوان .

تعقد حاجبا (سيرجى) الكئيب فى شدة ، وهو

يقول :

- أتعثّم ألا يحدث هذا ؛ فقد وضعت آمالا عريضة ،

على وجود (أدهم) ؛ لمكافحة هذا الموقف العصيب

الرهيب ، الذى يواجهنا جميعاً .

ثم تراجع فى مقعده ، مستطرداً فى عمق :

- ولو أنه لقى مصرعه قبلها ، فلا أحد يعلم ما سيصبح

عليه مصير العالم عندئذ .



التقى حلجبا (أسعد)، وهو يدرس عيلة (سيرجي)  
الأخيرة، ولمحة من الخوف تتسلل إلى أعماقه، مع  
تساؤل رهيب ..

تُرى هل سيصلان في الوقت المناسب !؟  
هل !؟

\* \* \*

« لايا (أدهم) .. لا يمكن أن تسمح بحدوث هذا .. »  
تردّت العبارة في رأسه بقوة، والنيران تمتدّ من  
كل اتجاه حوله، وتنتشر في سرعة مخيفة؛ لتحاصر  
الصومعة، التي تضمّ كل رفاقه ..

« لا يمكن أن تسمح بحدوث هذا أبداً .. »

« إنك لم تقطع كل هذه المسافة، ولم تقا تل بكل  
هذا العنف، وتبذل كل هذا الجهد، لتراهم يحترقون  
أمامك هكذا، بلا رحمة أو هوادة .. »

« مستحيل أن يحدث هذا ! »

« مستحيل !! »

« مستحيل !! »

اشتعلت النيران في مؤخرة السيارة، التي يحتمى  
بها من الرصاصات المنهمرة، والتي لا تتوقف لحظة  
واحدة، ولكن الغضب العارم، الذي ملأ كل ذرة من  
كيته، جعله لا يبالي بالنيران وألسنة اللهب ..

لقد استثنى في وجوده كله هدف واحد ..

أن ينقذ رفاقه من هذه المينة البشعة ..

وبأى ثمن ..

وفي حزم عجيب، وعلى الرغم من الرصاصات  
المنهمرة، وألسنة اللهب، المنطلعة من مؤخرة  
السيارة، وثب (أدهم) إلى مقعد قيادتها، وهو  
يقول في صرامة:

- فليكن أيها الأوغاد .. أنتم تسعون للمواجهة،  
فلتتالوها إذن .

ضغط بواسطة الوقود في قوة، فاندفعت السيارة، تسبق  
ألسنة اللهب، نحو البقعة التي تنهمر منها الرصاصات ..  
مشهد رهيب، ذلك الذي رآه رجل (المافيا) الروسية،  
من مكنهم، وسط الأشجار المحيطة بالصومعة ..

سيارة نصف مشتعلة ، تعبر السنة اللهب على نحو مهيب ، وكأنما لم يعد يبالي قائدها ، بذلك الجحيم المحيط به من كل صوب ، وهو ينطلق نحوهم بأقصى سرعة ..

كانوا عشرة رجال ، هم كل من تمكن (بورى) من جمعهم بهذه السرعة ، من أحياء (لينجراد) ، للقريبة من الصومعة ، وكل منهم يحمل مدفعا آليا ، من أفضل وأحدث الأنواع ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أصابهم مرأى السيارة المشتعلة ، وهى تنفض عليهم برعب هائل ، جعلهم يتركون أماكنهم ، ويعدون باضطراب فى كل مكان ..

ولكن السيارة المشتعلة واصلت الانطلاق نحوهم ، (أدهم) داخلها يقول لنفسه فى صرامة :

- فليكن يا (أدهم) .. صحيح أنك تبغض القتل والتدمير ، ولكن الأمر هذه المرة لا يحتمل المساومة .. إما حياتهم ، أو حياة كل من تحب ، فى هذا العالم .

كانت النيران قد امتدَّت إلى النصف الخلفى للسيارة بأكمله ، وبلى إطاراتها الأربعة ، وخزان وقودها ..

ولكن (أدهم) واصل انطلاقه بها ، خلف قتلة (المافيا) ، قَبِل أن يهتف :

- الآن تبدأ مهمتك وحدك أيتها السيارة ..

ومع هتافه ، وثب خارج السيارة ، وترك جسده يتدحرج فوق العشب ، فى حين واصلت السيارة طريقها ، حتى ارتطمت بإحدى الأشجار ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، مزَّق السيارة الكبيرة ، ونسف خزان وقودها نسفاً ، فتناثر اللقود المشتعل فى مسافة واسعة ، وتساقط على أجساد قتلة (المافيا) الروسية ، فانطلقت صرخاتهم المذعورة ، وهم يعدون فى كل اتجاه ..

أما (أدهم) ، فقد هبَّ واقفاً على قدميه ، واستدار إلى حيث الصومعة ، التى ترك فيها رفاقه ..



ولكن ألسنة اللهب كانت تقترب منها بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

ويكل توتر الدنيا ، اندفع (أدهم) نحو واحدة من السيارات ، التي تركها القتلة خلفهم ، ووثب داخلها ، وانطلق بها عائدًا إلى الصومعة ، وهو يهتف :

- رباہ ! تری ماذا يفعلون الآن ؟ ماذا أصابهم ؟

في نفس اللحظة ، التسي انطلق فيها هتافه كانت (منى) تقول في ارتياح :

- النيران تقترب بسرعة مخيفة .

اتسعت عينا (شريف) ، وهو يقول بكل توتر الدنيا :

- ماذا نفعل ؟ ماذا نفعل ؟

تلقت (ريهام) حولها ، هاتفة :

- آه لو وجدنا أى شيء ، يصلح لصنع قنبلة .

هتفت بها (منى) ، في دهشة مستنكرة :

- قنبلة ؟ في مثل هذه الظروف ؟

أجابتها (ريهام) ، وهي تندفع نحو بعض الأشياء المهملة في الركن :

- بالتأكيد .. النيران تنتشر بسبب الأكسجين في الهواء .. إنه لا يشتعل ، ولكن وجوده ضروري لموصلة الاشتعال ، وحدث انفجار يؤدي إلى خلخلة الهواء ، في مساحة تتناسب مع قوته ، وهذا يؤدي إلى نقص حاد ملجئ في الأكسجين ، مما يؤدي إلى إطفاء الحريق ، وهذا ما يفعلونه لإطفاء آبار البترول المشتعلة ، التي يعجزون عن السيطرة عليها بالطرق التقليدية<sup>(\*)</sup> .

كان المخان يتسلل إلى المكان ، على نحو جعل (منى) تسعل ، هاتفة :

- وهل يمكن أن يوجد شيء صالح هنا ؟

أجابتها (ريهام) ، وهي تفحص كل ما بالركن ، في نهفة واهتمام :

(\*) حقيقة .

- أي شيء يمكن أن يصلح ، مادام لدينا مصدر للاشتغال .

سعل ( شريف ) بدوره ، وهو يهتف :

- أخشى أنه ليس أمامنا سوى سبيل وحيد حالياً ،  
للنجاة من النيران .

سألته (منى) في توتر ، وهي تحاول اختراق ألسنة  
الذهب ببصرها ، بحثاً عن (أدهم) :

- وما هو ؟!

سعل مرة أخرى في قوة ، مجيباً :

- أن نعود إلى الصومعة ؟!

استدارت إليه (ريهام) ، هاتفة في استنكار :

- الصومعة ؟! هل جنتت ؟!

لوح بيده ، وهو يسعل ، قاتلاً :

- إنها المكان الوحيد ، الذي لن تبلغه النيران .

هزّت (منى) رأسها في قوة ، وهي تقول في  
عصبية :

- خطأ .. الصومعة ستصبح أشبه بقبر حقيقي ،  
عندما تمتلئ بدخان الحريق ، وتختنق داخلها كلنا .

ثم عضت شفتيها ، مضيفة في عصبية أكثر :

- ثم كيف سنعيد (قدرى) إليها ؟!

عضّ (شريف) شفتيه ، وهو يلقي نظرة على  
(قدرى) ، مغمضاً ، وقد انتقلت إليه عصبية (منى) :

- آه .. كيف نسيت هذا ؟!

مع آخر حروف عبارته ، لخرق (أدهم) ألسنة للذهب  
مرة أخرى ، بسيلة أخرى من سيلرات لرفع الرباعي ،  
توقّف بها على بعد متر واحد من الحجرة الخشبية ،  
لتي تخفى فتحة الصومعة ، فهتفت (منى) في لهفة  
وسعادة :

- لقد عاد (أدهم) .. عاد .



أجابتها (ريهام) فى توتر شديد ، وهى تنتقط  
بعض الأتوات ، وتعمل بها فى سرعة :

- عاد إلى الجحيم .. يالها من عودة !

وثب (أدهم) عبر السيارة ، وهو يحمل غطاءها  
القماش الكبير ، وراح يدور حولها فى سرعة ، ليطفى  
ما التقطته من نيران ، فاندفعت (منى) إليه ، ولهتت  
مع سعالها ، وهى تهتف :

- حمدا لله على سلامتكم .

رَبَّتْ على كتفها فى توتر ، وهتف بها :

- اتخذى مقعد القيادة ، وتراجعى حتى بلب الحجرة .

سألته ، وهى تنفذ أمره فى آلية :

- ماذا ستفعل !؟

أجابها فى حزم شديد ، وهو يدعو إلى الحجرة :

- سأحضر (قبرى) .

هتفت :

- مستحيل ! لن يمكنك إحضاره وحدك .

نفس الكلمة هتفت بها (ريهام) ، عندما أمسك  
(أدهم) الحبل ، الذى يربط ذلك الباب الثقيل ، حيث  
استقر جسد (قبرى) ، فى حين أضاف (شريف) ،  
فى توتر بالغ :

- كلنا مصابون أيها القائد .. لن تجد من يمكنه  
مساعدتك .

صاح (أدهم) فى صرامة آمرة :

- إلى السيارة كلكم .. هيا .

حملت (ريهام) ما صنعته ، وعاونت (شريف)  
على النهوض ، وهى تقول :

- سيادة العميد .. ربما لو ....

قاطعها بصيحة صارمة :

أسرعت و(شريف) ينفذان الأمر ، فى حين أمسك  
هو الحبل فى قوة ، ومرره على كتفيه ، وهو يتطلع  
إلى جسد (قبرى) القائد الوعى ، مغمغا :

- لن أتخلى عنك يا صديقى .. لن أفعلها ، مهما كان الثمن .

أما ( ريهام ) ، فلم تكذب تبلغ السيارة ، حتى لوحت بما تحملته ، قائلة فى اتفعلل شديد ، وهى تراقب السنة الذهب :

- لقد صنعها .. قليل من الطلاء ، مع عبوة من الأستيون<sup>(\*)</sup> ، وثلاث عبوات من المبيدات الحشرية ، فى أسطوانات مضغوطة .. منسخدمها لصنع تفجأ محدود ، يفتح أماننا معرأ للخروج من هنا .

تمتعت (منى) فى عصبية ، وهى تتطلع خلف ظهرها ، إلى منخل الحجرة الخشبية ، حيث تراجعت بالسيارة لتصبح على مسافة متر واحد منها ، كما أمرها (أدهم) ، وهى

(\*) الأستيون : مركب عضوى ، عديم اللون ، غير قابل للاشتعال ، يتكون من الكربون والهيدروجين والأكسجين ، له مذاق ونهية ناعاجة ، يقى عند درجة (٢٥٦°) ، ويستخدم بكثرة كمذيب لمعالم المواد لعضوية ، كما يستخدم لصناعة (السلولويد) ، والمعاصيق للاختابية ، وفى صناعة (الكورولوروم) ، ويتم تحضيره بتقطير الخشب مع خلات الكالسيوم ، وكذلك بتخمير النشا .

تتساعل عما سيفعله هذا الأخير ، لإخراج (قدرى) من المكان ، بجسده الضخم الثقيل ، و ...

وفجأة ، اتسعت عيناها من آخرهما فى ذهول .. وكذلك عيون (شريف) و(ريهام) ..

فأمام عيون ثلاثتهم كان (أدهم) يعبر باب الحجرة ، وهو يسحب خلفه ، بقوة رهيبية ، ذلك الباب الخشبي الثقيل ، الذى استقر فوقه جسد (قدرى) الفاقد الوعى ..

كان من الواضح أنه يبذل جهداً يفوق قدراته ، مع ذلك العرق الغزير ، الذى غمر وجهه وجسده كله ..

ووثبت (منى) من السيارة ، وهى تتنفع نحوه ، هاتفة :

- يا إلهى ! كيف فعلت هذا !؟

أشار إليها فى صرامة ، قاتلاً :

- افتحى الباب الخلفى .

أسرعت تنفذ أمره ، وافتتح الباب الخلفى للسيارة ، وهى تسأله فى توتر بلغ مداه :



- ولكن كيف مترفعه إلى داخل السيارة !؟

استدار (أدهم) ، بذلك العرق الذي يغمره ، وتطلع  
إلى (قدرى) ، مجيبًا بكل حزم وصرامة الدنيا :  
- لن أتخلى عنه .. أبدًا .

كانت النيران قد بلغت مؤخرة تلك الحجرة  
الخشبية الكبيرة بالفعل ، عندما ألقى (أدهم) سترته  
جانبًا ، ثم انحنى يحلّ الأحبال التي تثبت جسد  
(قدرى) بالباب الثقيل ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ،  
ويغمغم :

- ساعدنى يا إلهى !

ومرة أخرى ، اتسعت كل العيون فى ذهول ..

لقد تقبضت عضلات جسده كلها ، حتى تمزق كما  
قميصه ، وتطايرت أزراره ، وهو يرفع جسد (قدرى) ،  
وقد احتقن وجهه ، حتى بدا وكأنه سينفجر ، من  
شدة ما يبذل من جهد ..

وفى ذهول ، غمضت (ريهام) :

- مستحيل !

أما (شريف) ، فقد بدا له وكأنه يشاهد لقطه  
أسطورية ، من فيلم خيالى ، عندما رأى (أدهم) يرفع جسد  
(قدرى) عن الأرض ، وقد انتفخت عضلاته ، وانتفخت  
كل عروقها ، على نحو لم يشاهده على بشر من قبل .

وبدفة واحدة ، وضع جسد (قدرى) داخل السيارة ،  
و(منى) تحنق فيه بكل ذعر وقلق الدنيا ، قبل أن تغمغم :

- يا إلهى ! لقد فعلتها .. لقد فعلتها يا (أدهم) .

خيلٌ إليها أنه سيسقط فاقد الوعي ، من شدة شحوبه  
وامتقاعه ، وهو يقول ، وسط لهات عنيف للغاية :

- لم يكن من الممكن أن أتخلى عنه .. لم يكن من  
الممكن أبدًا .

هتف (شريف) فى اتبهار :

- ليت لى صديق واحد مثلك أيها القائد .

وفى قوة ، هزّت (ريهام) رأسها ، لتتفرض عنها  
ذهولها ، قبل أن تغادر السيارة ، قائلة فى حزم :  
- سأشقى طريقاً للنجاة .

ألقت قنبلتها العجيبة وسط النيران ، ثم تراجعت  
تحسى وجهها وجسدها ، والآلام تتصاعد من إصابة  
كتفها وفخذها فى عنف ، و ...  
ودوى الانفجار ..

انفجار محدود نسبياً ، أدى ماتوقّعه منه تماماً ، فخبث  
النيران فى مساحة محدودة ، جعلتها تهتف فى ظفر :  
- أسرعوا .. لن يظل هذا الوضع طويلاً .

جذب (أدهم) (منى) ، هاتفاً بها :  
- أسرعى .

دفعها إلى المقعد المجاور للسائق ، ثم استعد لاحتلال  
مقعد القيادة ، قبل أن ينعكس حاجباه ، ويهتف بكل توتره :  
- أين (أحمد) !؟

أصاب سؤاله ثلاثتهم بالذعر ، وصاحت (منى) :  
- رباہ ! إنه مازال داخل الصومعة .

التقى حاجبا (أدهم) بشدة ، وهو يهتف :  
- داخل الصومعة !؟

أدار عينيه فى حركة حادة إلى النيران التى بدأت  
تلتهم الحجرة الخشبية الكبيرة بالفعل ، ثم استدار بجسده  
كله ، إلى الفجوة التى صنعها قنبلة (ريهام) ، فى  
حائط النيران ، قبل أن يقول - (منى) فى حزم صلم  
أمر :

- اتخذى مقعد القيادة .  
هتفت به :

- ماذا ستفعل !؟

صاح بها فى صرامة شديدة :

- انطلقى فوراً ، قبل أن تفسدوا هذه الفرصة ،  
واستخدمى أسطوانة الإطفاء فى السيارة ، لإخماد  
النيران ، التى ستشتعل فى أى مكان بها .



أطلقت ( منى ) صرخة يأس واعتراض عالية ،  
والسيارة تنفج بهم ، مخترقة جدار اللهب ، تاركين  
أدهم ) خلفهم فى قلب المععمة ..  
وقلب الجحيم :

\* \* \*



اتخذت مقعد القيادة بالفعل ، وهى تهتف :  
- لا .. لن ننصرف بدونك .. سننتظرك حتى ....  
قاطعها بصيحة هادرة :  
- انطلقى .

ثم انطلق يعدو ، عائدًا إلى الصومعة ، وهو  
يصرخ :  
- هذا أمر .

هزت ( منى ) رأسها فى قوة ، وهى تهتف :  
- لا .. لن أرحل بدونك .. لن أطيع أوامرك هذه  
المرة .

ولكن ( ريهام ) دفعت جسدها إلى الأمام ، ودفعت  
قدمها لتضغط دواسة الوقود ، وهى تقول فى حزم  
عصبى :

- هل نسيت كل ماتعلمناه؟! لا يمكنك مخالفة  
أوامر الأستاذ قط .

## ٨ - قلب الذهب ..

لم تكذ الطائرة الخاصة تهبط في ذلك المطار الصغير ،  
التابع للمخابرات الروسية في ( ليننجراد ) ، حتى حلَّ  
( أسعد ) حزام مقعده في لهفة ، وهو يقول :

- رياه ! تعشّم أن نكون قد وصلنا في الوقت المناسب .

أجابه ( سيرجي ) في حزم ، وهو ينهض بدوره :

- سنعرف بعد قليل .

كانت في انتظارهما سيارة من سيارات المخابرات  
الروسية ، اتجه إليها ( سيرجي ) مباشرة ، وهو يقول :

- لقد اتخذت كل ما يلزم من إجراءات ؛ لننطلق على

الفور ، إلى حيث صوامع ( جياروف ) ، على مشارف  
المدينة ، وهو المكان الذي اعتقد أن ( أدم ) والباقيين فيه .

غمغم ( أسعد ) في توتر :

- هم أو جثثهم .



أطلقت ( منى ) صرحة ناس واعتراض عالية ، والسيارة تندفع بهم ،  
مخترقة جدار الذهب ..



اتعقد حاجبا (سيرجى) للكثيرين ، وهو يقول فى صرامة :

- هم ، أو مصير (روسيا) .. بل وربما العالم كله .

كان سائق السيارة يتحدث عبر جهاز الاتصال اللاسلكى فى اهتمام بالغ ، حتى إنه لم ينتبه إليهما ، إلى أن قال (سيرجى) فى برود أمر :

- فيم تتحدث يا رجل ؟!

التفت إليه السائق بحركة حادة ، وحدث فى وجهه لحظة بدهشة ، وكأنه لم يكن يتوقع قدمه ، ثم لم يلبث أن اندفع خارج السيارة ، وأدى للتحية فى قوة ، وهو يقول :

- معذرة يا كولونيل ، ولكن الإدارة طلبت منى عدم مغادرة المطار ، حتى إشعار آخر .

تفجر قلب علم فى أصق (أسعد) ، مع عبارة السائق ، فى حين عاد حاجبا (سيرجى) ينعقدان ، وهو يقول :

- عدم مغادرة المطار ؟! ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

حمل صوت السائق حيرة حقيقية ، وهو يجيب :  
- لست أدرى يا كولونيل .. حقاً لست أدرى .

ازداد تعقداً حاجبى (سيرجى) ، قبل أن يغتمغ :  
- ترى هل .... ؟!

بتر عبارته ، دون أن يكملها ، فسأله (أسعد) بكل قلقه :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا يا كولونيل ؟!

أدار (سيرجى) عينيه إليه فى توتر ، قبل أن يستل مسدسه بغتة ، ويدير فوهته نحو السائق ، الذى انتفض فى ذعر ذاهل ، هاتفاً :

- ماذا حدث يا كولونيل ؟!

صاح به (سيرجى) ، بكل صرامته وبروده :

- ابتعد عن السيارة .

كرّر السائق ، وهو يرفع ذراعيه ، ويعدو مبتعداً عن السيارة :

- ماذا حدث يا كولونيل!؟ ماذا فعلت!؟

دفع (سيرجى) (أسعد) داخل السيارة ، قائلاً فى صرامة :

- أسرع .

ولم يكف (أسعد) يستقر داخلها ، حتى دفع (سيرجى) نغمه إلى مقعد السائق ، وأدار المحرك فى سرعة ، فهتف به (أسعد) :

- ماذا حدث!؟

أجابه (سيرجى) ، وهو ينطلق بالسيارة :

- بعضهم عبث بالأمور ، فى محاولة لمنعنا من بلوغ هدفنا .

ثم أضاف ، وهو يتجه نحو مخرج المطار :

- ألم تقل لك إن الفساد قد بلغ الذروة .

تراجع (أسعد) فى مقعده ، مردداً :

- يا إلهى ! يا إلهى !

انطلق (سيرجى) نحو مخرج المطار ، تاركاً السائق خلفه ، فى حالة من الذعر والذهول ، و ...

وفجأة ، ظهرت تلك السيارات الأخرى ..

أربع سيارات ، تحمل جيشاً من رجال المخابرات الروسية ، عبر المخرج من الاتجاه المضاد ، واندفعت تحيط بسيارة (سيرجى) فى سرعة ، تشفياً عن براعة ومهارة سائقيها ..

وفى حزم ، رفع (سيرجى) فوهة مسدسه ، قائلاً :

- يبدو أن الأمور لن تمضى بسلام .

تطلّع (أسعد) فى قلق بالغ ، إلى الرجال الثمانية ، الذين تقزوا من السيارات ، وأحاطوا بسيارة (سيرجى) بمدافعهم الآلية ، وقال :

- مسدس واحد فى مواجهة جيش كامل .. أظن أن فرصتنا تقل عن الصفر يا رجل .

التقى حاجبا (سيرجى) ، على نحو لم يحدث من



قبل ، وهو يدرس عبارة (أسعد) ، ويتابع ببصره ذلك الرجل التاسع ، الذى أسرع يعدو ، ليتخذ موقعاً خلف السيارة ، حاملاً على كتفه مدفعاً صاروخياً صغيراً ، وتمتم :

- يبدو أنك على حق .

ثم أعاد مسدسه إلى غمده ، ودفع باب السيارة ، قائلاً فى صرامة ، حملت رنة غضب واضحة :

- ماذا يحدث بالضبط ؟

أقاه صوت ، يقول بلهجة أكثر صرامة ، من داخل إحدى السيارات :

- أخبرنى أنت ماذا يحدث بالضبط ، يا كولونيل (كوريوف) ؟

ثم خرج من السيارة رجل متين البنيان ، أشقر الشعر ، عريض الفكين ، يستطرد فى صرامة أكثر :

- المدير شخصياً أصدر أمراً باعتقالك .

اتسعت عيناً (أسعد) فى ارتياح ، وهو يتمتم :  
- آه .. كان ينبغى أن أتوقع هذا .

أما (سيرجى) ، فقد حملت ملامحه الثلجية غضباً لا حدود له ، وهو يتطلع فى صمت إلى زميله ، وفى أعماقه تتردد صرخة قوية ..

لقد فطها (كواليسكى) هذه المرة ..

لعبها بمنتهى البراعة ..

ومنتهى الشراسة ..

\* \* \*

لأول مرة ، منذ فترة طويلة ، تفجرت من حلق (يورى إيفانوفيتش) ضحكة عالية ، واسترخى فى مقعده ، وهو ينفث دخان سيجارته بمنتهى العمق ، ويضع هاتفه المحمول على المنضدة أمامه ، قائلاً :  
- كم يدهشنى ما فعله (كواليسكى) الغبى هذه المرة .. لقد نجح فى إثارة انبهارى بحق !!

توقفت (زوشا) عن رياضتها العنيفة ، وسألته  
في اهتمام :

- وما الذى فطه !؟

لَوْح (بورى) بيده ، قائلاً :

- أراح منافسه وخصمه اللود ، الكولونيل (سيرجى  
كوربوف) عن طريقه .. وبضربة قاصمة .

نهضت متسائلة فى فضول :

- وماذا فعل !؟

اكتسى صوته بصرامة مباغته ، وهو يجيب :

- ما ينبغى .

شعرت بالحنق لأسلوبه هذا ، ولذلك لتقلب للعجيب  
فى مشاعره ، وحاولت أن تبحث عن حديث آخر ،  
فقالته فى عصبية :

- الضربة الأخيرة كان لها تأثير رهيب .

اتعقد حاجباه ، وهو يقول :

- إنها لم تكتمل بعد .

لم تنتبه إلى ما يقصده ، فتساعلت فى اهتمام :

- أئن تعن مطالبك الآن !؟

نفث دخان سيجارته فى قوة ، وتطلع إلى سحب  
الدخان ، وهى تصعد إلى سقف القاعة القديمة ، التى  
يجلسان داخلها ، قيل أن يلتفت إليها ، ويقول فى  
برود عجيب :

- ماذا دهك يا عزيزتى (زوشا) !؟ هل أصابك  
للصمم مؤخراً ، أم أن درجة ذكائك قد انخفضت  
بغثة !؟

أقلقها سؤاله وبروده المباغت فتمتمت فى حذر  
شديد :

- لماذا !؟

صرخ فى وجهها بغثة ، بغضب هادر :



- قلت إن الضربة الثالثة لم تكتمل بعد .

شعرت بالغضب ، وهي تقول في عصبية :

- الضحايا هذه المرة بالآلاف .

رفع سبابته ، قائلاً في صرامة :

- ( شلينكو ) لم يضرب الهدف بعد .

ثم نهض من مقعده بغتة ، مستطرذاً في مقت :

- ( القاهرة ) .

التقطت نفساً عميقاً ، في محاولة للسيطرة على

غضبها ، وهي تضح بوجهها ، قائلة في توتر :

- إنها مسألة وقت .

عاد يجلس على مقعده ، قائلاً في صرامة :

- نعم .. مسألة وقت .

وصمت لحظة ، نفث خلالها دخان سيجارته ، قبل

أن يضيف في شراسة :

- ونتائج ..

اندفعت ، قائلة :

- كل هذا من أجل أد ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، عندما أركت حمقها ،

فابتسم هو في سخرية ، ونفث دخان سيجارته مرة

أخرى ، قائلاً :

- نعم .. كل هذا من أجل ( أدهم صبرى ) .

غمضت في ارتباك :

- ليس هذا ما قصدته .

قال في سخرية أكثر :

- حقاً !؟

ثم عاد حلجباه يتعقدان مرة أخرى ، وهو يستطرد ،

بلهجة حملت كل مقت وغضب الدنيا :

- ولكن هذا ما أقصده أنا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع رنين هاتف ( زوشا ) ،

فالتقطته في سرعة ، قائلة :

- من هناك .

تعتقد حاجباها في شدة ، وهي تستمع إلى محدثها ،  
قبل أن ترفع رأسها إلى ( يورى ) ، قائلة في توتر :  
- إنه ( شلينكو ) .. لقد اهترب من الهدف ، ولكن كل  
الطرق مغلقة ، ورجال الشرطة يفحصون كل السيارات .  
بدا التوتر على ملامح ( يورى ) ، وهو ينفث دخان  
سيجارتته ، مكرراً :

- كل الطرق مغلقة .

أشارت ( زوشا ) بيدها ، قائلة في توتر أكثر :

- إنه لا يستطيع بلوغ الهدف ، ويسأل ماذا ينبغي  
أن يفعل .

خُيِّلَ إليها أن ملامحه قد حملت وحشية لامثيل لها ،  
وهو يلقي سيجارته إلى ركن القاعة ، ثم ينهض ،  
قاتلاً في صرامة :

- أبلغه أن عليه أن ينفذ خطة الطوارئ فوراً ..  
فليطلق الشحنة كلها .. الآن .

وكان هذا يعنى أن تنضم ( مصر ) إلى قائمة  
ضحايا الوحش ..

الوحش الأسمى ..

ويأمر مباشر ..

للغاية ..

\* \* \*

كان المكان يتحوّل إلى جحيم حقيقي ، عندما بلغ  
( أدهم ) تلك الفتحة ، في قمة الصومعة ، وتطلع  
عبرها ، هاتفاً :

- ( أحمد ) .. أنت بخير !؟

سعل الدكتور ( أحمد ) بشدة ، مع الدخان الذي  
ملأ المكان ، وراح يترنّج ، وهو يهتف :

- إبنى أكاد لأختنق .. أخرجنى من هنا بسرعة بالله  
عليك يا ( أدهم ) .. أسرع .



التقط (أدهم) الحبل ، الذي كان يثبت (قدي) بالبالب  
الثقيل ، وتلفت حوله ، بحثاً عما يثبت به ، قبل أن  
يعدو نحو الباب الملقى أرضاً ، ويرفعه بعضلحه ، التي  
لم تشعر يوماً بالإجهاد ، مثلما تشعر به الآن ، ثم وضعه  
بالقرب من الفتحة ، وأحاطه بطرف الحبل ، قبل أن  
يلقى الطرف الآخر داخل الصومعة ، هتافاً :

- هيا .. تسلق ذلك الحبل يا (أحمد) .. أسرع .

سعل الدكتور (أحمد) أكثر وأكثر ، وهو يشق طريقه ،  
وسط الدخان الكثيف ، الذي غمر الصومعة كلها ،  
نحو الحبل ، فهتف (أدهم) ، وهو يراقب النيران ،  
التي تنتشر في المكان بسرعة مخيفة :

- أسرع بالله عليك .. أسرع .

ولكن الدكتور (أحمد) توقف فجأة ، وامتنع وجهه  
بشدة ، وهو يغمغم في ارتياح :

- رياه ! لاليس الآن .. ليس .

قبل أن تكتمل عبارته ، مادت به الأرض فجأة ،  
وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وهوى أرضاً فاقد الوعي ..  
وهتف (أدهم) :

- يا إلهي ! (أحمد) .

ودون أن يتردد ، ولولجزء من الثانية ، وثب داخل  
الصومعة ، واندفع نحو شقيقه ، وفحصه في سرعة  
وتوتر بلا حدود ..

كان المسكين قد فقد الوعي ، مع الدخان الذي  
ملأ رئتيه ، ولم يحتمل جسده الضعيف كل هذا  
الإجهاد والافعال ..

وفي حزم ، حمل (أدهم) شقيقه على كتفه ، ثم  
وثب يتعلق بالحبل ، وقرعة النيران في أعلى تكاد  
تصم أذنيه ..

كانت كل نرة في جسده تشعر بإجهاد بلا حدود ،  
ولكن إرادته الفولاذية كانت تتجاوز كل هذا ، وتبث  
في عروقه طاقة هائلة ، و ...

ولكن فجأة ، بلغت النيران ذلك الباب الخشبي  
الثقيل ..

والحبل المحيط به ..

وشاهد (أدهم) النيران تلتهم طرف الحبل ،  
فغمغم ، وهو يتسلفه في سرعة أكبر :

- يا إلهي ! يا إلهي !

كان يقاتل لبلوغ الفتحة ، قبل أن تلتهم النيران  
طرف الحبل تمامًا ..

ولكن فجأة ومع ثقل جسديهما معًا ، لم يحتمل  
الحبل ..

وانقطع ..

ووجد (أدهم) نفسه يهوى مع شقيقه ، ليرتطما  
بأرضية الصومعة في قوة ، فهباً واقفاً في سرعة ،  
يهتف :

- رياه ! (أحمد) .

ومع آخر حروف كلماته ، دوت قرقرة أكثر عنفاً  
من أعلى ، ثم اتهارت تلك الحجرة الخشبية العلوية  
دفعة واحدة ، والنيران تلتهمها بلا رحمة ، وأغلقت  
الأخشاب المحترقة فتحة سقف الصومعة تمامًا ،  
وراحت تغمرها بدخان كثيف ..

كثيف لدرجة لا يمكن أن يحتملها بشر ..

أى بشر .

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^RAYAHEEN^

مع تحيات منقدي ليلاس

انتهى الجزء الخامس بحمد الله

ويليه الجزء السادس والآخر بإذن الله

(المواجهة الأخيرة)